

# اميل حبيبي

<http://abuabdoalbagl.blogspot.ae/>



حكاية مسرحية



لكع بن لكع

ثلاث جلسات أمام صندوق المخب





"لا تقوم الساعة حتى ياتي امور الناس ككعب بن كعب"

حديث شريف

الفصل

إلى حنين وفرح  
حتى يكون اللقاء بينهما فرحا

أَجْلَسَةُ الْأُولَى  
مَجْنُونَةُ بَدْر

« أناديكم . أناديكم .  
أشد على أياديكم .  
أبوس الأرض تحت نعالكم .  
وأقول أفديكم .  
فمأساتي التي أحيا  
نصيبى من مآسيكم »

توفيق زياد

# - ١ - صندوق العجب الفرجة برغيف فوق طبق طرعياني

لا مسرح ولا من يتعبون . بل جمهور من أهل الحارة ، ونحن من أهلها ،  
يجتمعون لقضاء أمسية أسطورية مع صندوق العجب .

ونكون مؤهلين لضرب الماضي بالحاضر والخلف بالسلف والحابل بالنابل .  
فقد قيل لنا أن ثمن الفرجة على صندوق العجب رغيف من الخبز العربي  
الذي ، لأمر ما ، أبقوا على عروبة اسمه . وقد وقعوا في هذا الإهمال الأمني  
حرصاً على الاضطهاد القومي الذي في البدء كان . فرغيف الخبز العربي في  
بلادنا أغلى ثمناً من الخبز الإفرنجي بقرار من الدولة ، وما أدراك ما الدولة .  
قطعت عنه الاعانة الحكومية المقررة لسواه من خبز العيش على اعتبار أنه بذخ  
كتعاطي البسكويت والجاتو والطورطة .

ويكون أصحاب الأمسية قد انتدبوا صبياً وصبية يقفان أمام باب القاعة  
وهما يحملان طبقاً من ورق النخيل كالذي كانت جداتنا تجدله وتصفّ عليه  
أقراص العجين فنحمله نحن ، أحفادهن إلى الفرن القريب . ويكونون قد  
جاؤوا بهذا الطبق ، شرطاً ، من قرية طرعان الجليلية القائمة على عهد هذه  
الأطباق حتى يومنا هذا متحدية الاستيطان الذي يطبق عليها من كل جانب .



ويكون المشترك في الأسمية قد حطّر غيفه على الطبق . فنحطّر غيفنا ونقبل على الفرجة منفرجي الأسارير .

وفيما نحن على هذه الحال من الانفراج إذا برجل ، في ثياب المهرجين ، يتقدم نحو صدر القاعة وهو يدفع أمامه بعربة صغيرة نصب فوقها صندوقاً مزركشاً بزخارف . ويعلق على كتفه اليمنى ، كما تعلق البندقية ، مقعداً خشبياً ضيقاً بطول الصندوق . وعلى كتفه اليسرى يعلق كشكولاً كبيراً متديلاً حتى رجليه كأنه يد ثلاثة . ويكون للصندوق طاقتان من زجاج كأنهما عينان بلا رموش . عينان جامدتان أشبه بعيني حمار أعجم . والحمار الأعجم كما تعلمون ، هو ذلك الحمار الذي سلم ، بالعجمة ، من عاهة النطق . فأنعم وأكرم !

ويكون للصندوق أذنان مستديرتان كبيرتان هما دولابان من خشب في قفا الصندوق . دولاب في اليسار ودولاب في اليمين . ونعلم ، نحن الذين أخنى علينا الذي أخنى على لبد ، أن شريطاً من الرسومات الاسطورية الملونة قد لف على عمود الأذن اليمنى وربط أوله بعمود الأذن اليسرى . فيحركها صاحب الصندوق فيتحرك شريط الرسومات ، من وراء العينين الزجاجيتين ، من اليمين إلى اليسار - حكمة ، لو تعلمون ، قديمة . وأما نحن ، القدماء ، فنفهم من هذه الإشارة أن صاحبنا محسوب على أصحاب الميسرة .

هذا هو ، إذن ، صندوق العجب كما كان آباؤنا وأجدادنا يسمونه . وفي بلدان عربية أخرى سمي صندوق العجائب . وفي غيرها صندوق الدنيا . وأولاد الحارة - نحن ومن حولنا - صناديق مقلدة . فيأتي المهرج ، بصندوقه وبحكاياته ، حتى يحطم أفعالها .

وأشد ما يشدنا إلى المهرج الشبه بينه وبين صندوقه : العينان متشابهتان إتساعاً وجموداً . والأذنان ضخامة واستدارة . كما تشابهت الزخارف :

أجراس ماعزية تجرس وحوافز خروفية جافة تخرف وخرق متعددة الألوان ، متنافرة ، تزركش بها المهرج كما زركش بها صندوقه حتى كأنها يحتفلان بعيد الاستقلال .

فلا نبالك أنفسنا عن الدهشة . ونحتفل بصندوق العجب بإبداء التعجب وبالمهرج بالهرج . حتى إذا علا اللغظ والتساؤل ولا جواب سوى الهسهسة - أي هس هس - إذا بالمهرج ينيخ مقعده أمام عيني صندوقه . ثم يخرج من كشكوله صنجين نحاسيين مستديرين كأنهما رغيفا خبز أخرجا ، للتو ، من التنور . فيحمل كل صنج في يد . ويصفق بهما ثلاثاً . فيسكن الهرج وينقطع اللغظ . فلا همهمة ولا هسهسة كأن علي رؤوس أهل الحارة الطير . وتدهمنا القحقحة فتعتبرها قحة . فنكظمها تهيأ .

ويروح المهرج ويحيء . يصفق بصنجه وينشد أشعاره القديمة حتى كأننا ، يا بدر ، لا رحنا ولا جينا :

« قم تفرج يا سلام على عجائب الزمان »

يكون المهرج ، صاحب الصندوق ، ينشد وينادي :

« قم تفرج يا سلام على شيء كان وما كان

شوف بوزيد الهلالي قاعد يبعزق بأموالي

شوف ذياب بن غانم ، غانم أيش وهو نايم ؟

شوف تغريبة بني هلال . صار الحال بقدر الحال

قم تفرج يا سلام على عجائب الزمان

صندوق العجب !

صندوق الدنيا !

تعالوا وتفرجوا على ما كان

وعلى ما هو كائن . شيء كان وشيء يرفض أن يصبح

في خبر كان .  
 تعالوا يا صنديق الدنيا ،  
 يا أولادي !  
 تعالوا نفتحها !  
 افتحوها . تنفسوا ملء صدوركم . شهيق . زفير  
 شهيق ، زفير !  
 حين كان ما كان ،  
 في غابر العصر والأوان ،  
 وكنت أطل على الحارة بصندوقتي ،  
 أجرس بأجراسي وأخرف بحوافري الخروفية ،  
 كان الصغار يتحلقون حولي كالهلال الخصب . ويتناوبون  
 النظر في عيني صندوقتي ،  
 اثنين اثنين .  
 كانت أجنتهم مكسورة .  
 فكنت أحكي لهم عن العقبان والنسور .  
 كانوا صعاليك .  
 فكنت أحكي لهم عن فرسان الصعاليك .  
 كانوا ريشة في مهب الريح .  
 فكنت أحكي لهم عن بساط الريح .  
 وكانت الفرجة برغيف . فاذا عز الرغيف فبنصفه أو بربعه .  
 فإذا جاءت الست بدور  
 بولدها بدر  
 فباتسامة من عينيها المرعوبتين .  
 أنا ألف بالشريط .  
 والدنيا تلف بنا .  
 تلف وتدور .  
 هلموا يا أولادي .

لقد عز الرغبة ونصف الرغبة  
 وربع الرغبة .  
 ولكن نظرة العطف والحب  
 والشوق باقية . »

وفجأة يتوقف المهرج عن الكلام وينتصب أمامنا بلا حراك حتى نحسبه  
 تمثالاً نحت في صخر ، حين يحتوينا صوت الشيخ إمام وهو ينشد أبياتاً من  
 قصيدة توفيق زياد : أناديكم :

« أناديكم . أناديكم .  
 أشد على أياديكم .  
 أبوس الأرض تحت نعالكم  
 وأقول أفديكم !  
 فمأساتي التي أحيا  
 نصيبي من مآسيكم .  
 أناديكم . أناديكم  
 أشد على أياديكم  
 أنا ما هنت في وطني  
 ولا صعرت أكتافي  
 وقفت بوجه ظلّامي  
 يتيما عارياً حافي  
 حملت دمي على كفي  
 وما نكست أعلامي  
 وضعت العشب فوق قبور أسلافي  
 أناديكم . أناديكم

أشد على أياديكم » . \*

وما أن يتلاشى هذا الصوت المتفجر حتى تعود الحياة إلى تمثال المهرج .  
فنسمعه يعود إلى نداءاته : « أناديكم . أناديكم ! تعال يا بدر . تعالي يا  
بدر ! كأننا يا بدر ، لا رحنا ولا جينا .

---

\* الشيخ إمام عيسى ، من حي الغورية العتيق بالقاهرة . فنان شعبي وثاني اثنين أحدهما  
الشاعر المصري أحمد فؤاد نجم : هذا ينظم الشعر قلائد من دمه وذلك يغنيها على أوتار  
فؤاده فيجتمع الشعر والغناء في نقطة أرخيدس ، إلا أنها فوق أرضنا : بين العمال  
والطلبة .

## لابدر ولابدران ، ولابدرية ولابيدر !

وفيا نكون مترددين بين السماح لأولادنا بالتفلسف منا ، تلبية لندائه ، وبين إحكام القبضة عليهم ، على أن الأمر مجرد تشخيص ، إذا بامرأة وقور في ثياب خريفية ، على جمال خريفي ، تنتصب من بين مقاعدنا وهي تردّ على المهرج ان : « لا ! لا ! بل رحنا وجينا . ولكن بدرأ لم يعد » !

ونراها ، وقد شدتنا المفاجأة إليها ، تتقدم نحو المهرج وقد خفضت من جناحها كما لو أنها طير يطوف حتى يهبط .

ونلتفت نحو المهرج فإذا بحالنا من بعض حاله : يُسقط صنجيه ويتمتم بقم وتفرج ولكن بغير يا سلام . ويرددهما بلا مناداة . ويهم بأن يحرك أجراسه فلا يقوى على حركة سوى أن يميل إلى اليمين وإلى اليسار فعل رقاص الساعة .

وما أن يلتقيا حتى يدور بينهما الحوار التالي ، والباديء المهرج :

المهرج : بدور ! بدور الخرساء

سوى طلاقة عينها .

بدور : بل بدور الخنساء يا قشمر !

**المهرج :**

بدور البشائر . .

طير السنونو المبشر بعودة الربيع !

أرأيت ، يا بدور ؟

لا رحنا ولا جينا .

**بدور :**

بل رحنا وبقيتم يا قشمر .

**المهرج :**

بقينا حرصاً على البقية يا بدور .

**بدور :**

وتركتمونا ، في متاهات الفيافي ، نتيه في مجاهل التجربة

الأولى .

وكأنكم لم تكونوا ؟

هل ولدنا من الحائط .

يا غربال الماضي ؟

**المهرج :**

صندوقتي علمني ، يا بدور ، أن مسيرة التاريخ البشري قد

حفرت ، عبر آلاف السنين ،

أخدوداً عميقاً في جبين الأرض

حتى لا تنساب جميع الأنهار

إلا في هذا السّيب ،

في طريقها إلى مصبها .

لا سيب أمام أي شعب من الشعوب

سوى التجربة الذاتية .

وما من شعب يستفيد .

من تجارب الشعوب الأخرى .

كان عليكم أن تقلعوا أشواكم

بأظفاركم !

**بدور :**

هل أصبحتم يا قشمر ،

من الشعوب الأخرى ؟

لماذا كان علينا أن ندفع

كل هذا الثمن ؟

- المهرج : لا تلومي الضحية .  
 بدور : لماذا كان علينا أن نحمل  
 كل هذا الزمن ؟  
 المهرج : لا تلومي الضحية .  
 بدور : لماذا كان علينا أن نكبو ؟  
 المهرج : لا تلومي الضحية .  
 بدور : ثم كان علينا أن نحبو ؟  
 المهرج : لا تلومي الضحية .  
 بدور : لماذا نحن غرباء ؟  
 المهرج : ولكن غرناطة لم تنسكم .

وإذا بالمهرج يرفع صنجيه عن الأرض ويصفق بهما وينادي :

« استمعي يا بدور ! استمعي يادهور .  
 إلى شاعر الأندلس الطريد\* يغني على أرغوله  
 لحن حنين إلى غرناطة . »

وإذا بشيخ مهيب الطلعة يرتدي عباءة عربية فضفاضة يُقدِّم نحو المهرج وهو يحمل أرغولا يزمر فيه لحناً حزيناً . ويظل اللحن الحزين يعلو وينخفض ، وهو ينطلق من مكان إلى آخر في القاعة ، في حين يأخذ الشيخ في القاء الأبيات التالية في صوت رتيب وخفيض :

« ها نحن غرباء عن هذا العالم إلى الأبد ،  
 ما دامت غرناطة تنسانا .  
 يا شعبي ، المتناثر مثل سرب من الحجلان :

\* الشاعر أراغون والأبيات من قصيدة « حب لاسبان »

أحمد سليمان الأحمد ( مجلة « المعرفة » السورية



- نيران أخرى جاءت تشتعل في قراك ، تتحدث عن إله آخر بلغة أخرى .  
 أين تمضي باحثاً عن أوطان وهمية ؟  
 أيها العصر الذهبي !  
 أيها العصر الذهبي المتألق من كل الجهات .  
 يا عصر الألام الغرقى بالدم من كل الجهات .  
 يعرفو الخوف ملك أسبانيا حين يشاهد الهلال يبدو قبل الأصيل .

ويمضي الشيخ بأرغوله . ولكن اللحن يظل يلح على أسمعنا إلحاحاً .  
 ويعود المهرج إلى بدور . ونكون مضطربين : ماذا يعتمل في صدر بدور ؟  
 وإذا بالمهرج يعود إلى مخاطبة بدور :

- المهرج : يظل القشر يحن إلى عوده .  
 ها أنت تعودين يا بدور .  
 بدور : أعود بدوراً خريفية .  
 المهرج : الخير في بدر .  
 بدر الربيع .  
 بدر الدجى .  
 سراج الدنيا .  
 بدر سيعود .  
 بدور : بدر عاد يا ابن عمي .  
 عاد بدر يا حنين الصبا .  
 المهرج : أين بدر يا بدور ؟  
 هل عادوا وأبعدوه ؟  
 بدور : بعدهم عن أن يقووا على  
 إعادة !

فكأنه  
 في بطن ؟

الأرض .

المهرج : أين بدر يا بدور ؟

بدور : في بطن أمه .

المهرج : أين بدر يا بدور ؟

بدور : قيل لي أنهم يدفنوننا

في حضن ربوة

تستلقي فوق رمال

عكا .

نبرد أطرافنا بماء البحر

وحين تفيض ..

المهرج : لقد فاضت .

بدور : يدفنوننا في حضن ربوة شقيقة

على الخط الأخضر ،

في مقابر قرية المقييلة

على الخط الأخضر

فنطلع البقول ناصجة

وحين تفيض ..

المهرج : لقد فاضت .

بدور : يدفنوننا في أطراف الطيبة الطيبة .

علامات حدود ..

وحين تفيض ..

المهرج : لقد فاضت .

بدور : يدفنوننا في مدافن بني صعب

في الطيرة

حتى كأننا في مدافن

غزة هاشم .

وحين تفيض ..

- المهرج : لقد فاضت .
- بدور : يدفنوننا في مرتفعات  
أم الفحم .
- المهرج : نيران أخرى تشتعل  
فوق هذه المرتفعات .
- بدور : ففي كفر قاسم .
- المهرج : كفر قاسم وقف على أولادنا .  
وقد فاضت بهم !
- بدور : وبدور ، يا ابن عمي ،  
أما هو من أولادكم ؟
- المهرج : اليد واحدة والتربة واحدة . .  
ففي أية قرية مأواه ؟  
أين مسقط رأسه ؟
- بدور : بحثت عنه بين أولادكم .  
بحثت عنه في كفر قاسم .  
في سخنين في كفر كنا . .  
بحثت عنه في الطيبة .  
فلم أجدته في مقابركم .
- المهرج : بدور !  
أيمن بدر ؟
- بدور : كان يجب رحيق الصبار .  
كان يأكل التينة بشوكها  
ويظل يلح ويطلب .  
بحثت عنه تحت جذورها .  
رحت أقتلعها وأنبش عنه .  
فكانت تعصى علي .

يعود الصبار ويطلع .  
ويعود الصبار يسخو  
برحيقه .

المهرج : بدور !

إن الصبار لا يزول .  
باق كما صبر العربي  
باق .

حتى في الأندلس .  
لوركما ظل يغني :

« هنا وهناك تتردد أصدااء

الصبار العربي »

بعد ثمنمئة عام !

بدور : لأن بدرأ ، الموسد ،

لا يشبع .

لا يرتوي من رحيق

الصبار .

يظل يعض عليه

بالنواجذ .

ولا يكل

ولا يمل .

إن أسنان بدر

كمآشة .

المهرج : بدور !

أين بدر؟

بدور : وجدته ..

المهرج : أين؟

بدور : هنا . هناك .

هنا .  
 أقرب .  
 أبعد .  
 ولدي ! أولادي !

ونراها ونحن مصعوقين ، تتوجه نحونا مشرعة جناحيها حتى كأنها تود أن  
 تضمنا ، جميعاً ، إلى حضنها . إلا أن المهرج لا يكف عنها . وإذا به يهتف  
 بها :

المهرج : وبدران ، يا بدور ؟  
 أين بدران ؟  
 بدور : عرق في النهر !  
 المهرج : أي نهر ؟  
 بدور : أي نهر .  
 من المحيط إلى الخليج .  
 المهرج : وبدريسة ؟  
 بدور : باعها الأمير في سوق  
 النخاسين .  
 المهرج : أي أمير ؟  
 بدور : أي أمير .  
 من المحيط إلى الخليج .  
 المهرج : وبيدر ؟  
 بدور : افتقدته في البيادر ؟  
 المهرج : أية بيادر ؟  
 بدور : أية بيادر .  
 حين تسيح البيادر  
 كل البيادر بيادر !

وفما تكون ماضية تشق طريقها في وسط جمعنا ، ونحن نشيعها بنظرات الإعجاب وبصفق الأيدي ، إذا بها تلتفت نحو أولاد افترشوا الأرض بالقرب من مقاعدنا ، الواحد أمام الآخر على طول الممر الذي يتوسط القاعة . فتتهتف بهم ان :

« قوموا تفرجوا على صندوق العجب . أحلى من غزل البنات ومن محشي ورق العنب . إن في صندوق هذا المهرج نجمتين تبددان الحلكة : ما كان وما سوف يكون . قوموا ! لا تجعلوه يفوتكم كما فاتني . قوموا ! لا تجعلوه يبقى عنكم كما بقي عني . قوموا ! قوموا ! »



- ٣ -

## أحد عشر حجاباً أسود وطفلتان وحجاب أحمر واحد

ونعود بجوارحنا إلى المهرج وقد جرحته بدور بذهاها . فيعود إلى صنجيه  
يصفق بهما كما تصفق الندابات بأيديها . ويقول :

المهرج : كانت بدور تركتنا مضيعين

وتعبين .

فأردنا أن نوسد رؤوسنا على صحور

مراعينا

وان ننام على أطول حلم

باللقاء الموعود .

فاقتلعوها

وجعلوها علينا حراماً ،

لا في نوم

ولا في قيامة .

فأردنا أن نعيش على أطول

حلم باللقاء

معتصمين بحبل الصبر ،

بشوك الصبر ،



بالصبر الحامض ،  
 بالصبر المخدر ،  
 بالصبر الذي سبقنا به  
 الخشيش والأفيون وشم الكوكايين ،  
 بالصبر  
 هذا السلاح الوحيد  
 الذي يبيح به الأبناء  
 قتل أولادهم : اصبر !  
 اصبر على الضيم ..

وإذا بصوت ، كأنه الآهة في الليل الكظيم ، ينطلق مردداً هذه الكلمات  
 على نغم الموالي البغدادي ( الأبراهيمي ) . فيسمرنا . ويسمر المهرج في وقت  
 معاً :

صوت :

« اصبر على الضيم لوجار الزمان وحكم  
 فالنذل ، يا ناس ، على سبع البراري حكم  
 والباز قدره وطى والبوم ساد وحكم  
 ناديت : يا أهل الحمية اليوم قدرى ضاع  
 الفأينة تنقبيل والصالحنة تنضاع !  
 ناديت : يا أهل البيت هالحين حقي ضاع  
 قوموا انظروا واعدلوا واجروا على الحكم »

فيرد عليه المهرج ، وهو يروح ويجيء في مشية المتهكم أو في مشية الذي  
 اسقط في يده :

المهرج : قوموا انظروا واعدلوا واجروا على الحكم .  
 ناديت ..

ما تركونا نام كي نحلم باللقاء .  
 وما تركونا نعيش ، يا لصبر ،  
 حتى اللقاء .  
 أيقظونا على مجرد البقاء .  
 أيقظونا !  
 جعلوا عيشنا طيشاً  
 وصبرنا حركة سريّة .  
 قصروا عيشنا حتى ضاق عن لحظة  
 صبر .  
 أصبح الصبر هو  
 القسبر .  
 وعيشنا أصبح كله  
 يقظة . ما أصعب العيش الذي كله  
 يقظة .  
 ما أضيق العيش الذي يضيق  
 عن الصبر .  
 قوموا انظروا واعدلوا .  
 تعالوا يا أولاد الناس .  
 تعالوا واجروا علينا الحكم !  
 بدور !  
 إن من خلف ما مات  
 يا بدور .  
 تعال يا ولدي .  
 يا ابتني .  
 تعال يا خلف .  
 تعالي يا خليفة .  
 يا صابر تعال و يا صابرة .

تعالني .

تعالوا -

يا صبر ويا صبرة

يا صبار ويا صبرين ،

يا أيوب

ويا أيوبة !

وإذا بسرب من الأولاد ، صبيان وصبايا ، أولئك الذين كانت بدور قد حثتهم على مشاهدة الصندوق ، يهرعون إليه ويصطفون على جانبي الصندوق كأسنان المشط متاهين لأن يتناوبوا القعود على مقعده والتحديق في عينيه الزجاجيتين ، اثنين اثنين ، ذكراً وأنثى كما خلقهم ربهم الرؤوف بعباده .

ويكون المهرج في هذه الأثناء ، قد أخرج من كشكوله صحيفة مطوية . ويفتحها مثلما كانت تفتح صحيفة من جلد الغزال . ويعلقها المهرج على ستارة ظاهرة للعيان .

فإذا هي صحيفة واسعة تخللتها خطوط في غير تنسيق أو في تنسيق قد خفيت حكمته عنا . وتحسبها حروفاً وما هي بحروف . وتحسبها جوهراً آدمية وما هي بوجوه آدمية . وقد ترى فيها جبلاً وقد ترى فيها سهوباً . وما هي بالجبال وما هي بالسهوب .

ونروح بأبصارنا نحو الصحيفة فلا تستريح على طلاسماها . بل يعجزنا أمرها . ولكننا نتعالى ، تعالي الجاهل ، عمّا ينم عن جهلنا بالأمر . ويتركنا المهرج ، ونحن على هذه الحال ، ويتوجه إلى مشط الأولاد قائلاً :

« قوموا انظروا واجروا علينا

الحكم .

قوموا !

اثنين اثنين -  
 ذكراً وأنثى كما خلقكم ربكم .  
 انظروا هناك .  
 انظروا في الصحيفة وما تخللها من خطوط  
 ورسوم ،  
 دارسة وسادة  
 وسادة .  
 واحكوا لنا عمّا تشاهدونه  
 في صندوقى .  
 افتحوا صناديقكم  
 وتنفسوا .  
 شهيق زفير .  
 شهيق . زفير .  
 أنتما ! »

ويشير إلى فتى وفتاة . فيتقدمان ويجلسان على مقعد الصندوق . وينظران  
 في عينيه الزجاجيتين . ثم يستديران ناحيتنا :

الفتى : أرى في الرسم رسوماً دارسة .  
 قممياً من قمام سيدنا سليمان الحكيم .  
 الفتاة : أرى مارداً ينطلق من قمم محطم .  
 قمم من قمام سيدنا سليمان الحكيم .  
 حطموه عليه ليحطموه .  
 فانطلق !

المهرج : وأنتما !  
 فتى آخر : أرى أثقالاً على ظهر حمّال .  
 فتاة أخرى : أراه بهم بأن يلقبها عن كاهله .

المهرج : وأنتما !  
 فتى آخر : أرى مرجأً مخضباً بالدماء .  
 فتاة أخرى : أراه مرجأً من الورود الحمراء .  
 المهرج : اتفقاً !  
 الفتى : ورود فوق أضرحة .  
 الفتاة : ورود .  
 الفتى : ورود .  
 المهرج : وأنتما !  
 فتى آخر : أرى الشمس غاربة .  
 فتاة أخرى : بل أراها وهي تشرق .  
 المهرج : اتفقاً !  
 الفتى : تشرق في الغد .  
 الفتاة : الغد مشرق .  
 المهرج : اتفقاً !  
 الفتى : احبها وتحبني . اتفقنا منذ وقت طويل  
 على غدنا المشرق .  
 احبها وتحبني !  
 الفتاة : أحبه . أحبه .  
 ولكن ما العمل بأهلتي ؟

وتخفي الفتاة وجهها بكفيها خجلاً وخوفاً وتهتم بالهروب . فيقطع المهرج  
 عليها سبيل الحرب بصرخة مدوية :

المهرج : قفي ! قفي يا ابنة العرب اسمعينا ! إلى أين أنت هاربة ؟  
 الفتاة : إلى حضن والدتي .  
 يا أمّاه !

والداي في القاعة ينظران

<http://abuabdoalbagl.blogspot.ae/>

كما تنظرون .

وينظرون وينظرون .

نواطير علينا .

يا أمهات !

المهرج : أحضان الوالدين حانية كأشجار الحور

في جنان الخلد .

ولكننا ، بعد ، خارج الجنان ، بعد ،

نعيش !

فاسمعينا يا ابنة العرب !

يا ابنة العرب اذكرينا

واذكريني ما فات

الفتى : ما فات !

المهرج : اسمعينا يا دنيا

نحكي لكم عن أحضان في بلادنا

أصبحت أضرحة .

ويخرج من كشكوله دفأ يروح ينقر عليه نقرأ بطيئاً ثم يسرع في النقر على

دفعه . ويمضي أمام الأولاد ويمجيء وهو ينادي :

المهرج : هل جاءكم خبر كفر قاسم

ورقصة الموت في كفر قاسم ؟

فيرد عليه الأولاد منشدين :

: « أما تفرج ، يا سلام ، عينك ترى العجايب . »

ويتقدم أحد الفتيان نحونا ثم يقول :

احد الفتيان : عادوا من أماكن عملهم والشمس عائدة

- إلى حضن المغيب القاني .  
 كان المغيب يجبس أنفاسه  
 حتى يطلقها دفعة واحدة .  
 أيها المغيب  
 حتّام تجبس أنفاسك ؟  
 ألا تختنق ؟  
 اطلقها أيها المغيب .  
 اطلقها .  
 نحن نختنق !
- الفتيان : أما تفرج ، يا سلام ، والحاضر يعلم الغائب .  
 الفتى : عادوا إلى القرية زرافات  
 ووحداناً .  
 ولكنهم جمعوا فيما بعد ،  
 في كومة واحدة .
- الفتيان : أما تفرج ، يا سلام ، وأعمل حالك مش شايف .  
 الفتى : جاءوا وهم يطرحون  
 السلام  
 على الضابط المكلف بتنفيذ عملية -  
 أخضر .
- فتاة : أخضر ؟  
 المهرج : معناه أن الطريق سالك .  
 الفتاة : سالك ؟  
 المهرج : مالك ؟  
 الفتاة : أي طريق ؟ الخط الأخضر ؟ الخضر الأخضر ؟  
 المهرج : سيان ! الخط الأخضر .  
 السياج الأخضر .  
 الخضر الأخضر .

سيان !

كله أخضر كخضراء الدمن !

الفتيان : أما تفرج ، يا سلام ، إن كنت ، بالله ، مش خايف .

الفتى : طرحوا السلام على الضابط المكلف :

شالوم أيها الضابط .

صوت : هل أنتم مبسوطين ؟

الفتيان : تمام ، أيها الضابط .

صوت : أحصدوهم !

ويأخذ المهرج في النقر على دفه . فنسمع صوتاً شبيهاً بصوت طلقات المدفع الرشاش . أو هذا ما ارتسم ، عبر طبقات آذاننا ، في مخيلات عقولنا . وما يزيد الضغط على مخيلات عقولنا صرخة أنثوية حادة تنطلق ، دفعة واحدة ، من صدور الفتيات :

الفتيات : احصدوهم .

احصدوهم .

احصدوا !

إلا أننا لا نراهم يسقطون . وإذا بالفتاة نفسها تصرخ :

الفتاة : لماذا لم يسقطوا ؟ لقد حصدوهم !

المهرج : لأنهم لم يموتوا يا ابتسي .

الفتاة : بل ماتوا .

المهرج : لو كانوا ماتوا

لسمعنا الصخر يبكي .

فكيف لم يبكي من هم بين

المحيط والخليج ؟

الفتيان : أما تفرج ، يا سلام ، عينك ترى العجائب .

الفتى : جازوا في تسع موجات ،



موجة أعلى من موجة .  
 وسقطوا في تسع موجات :  
 وظلت الكومة تتكوم .  
 جاءت الموجة التاسعة والأخيرة .  
 في أساطير الأقدمين أن الموجة التاسعة ،  
 في البحر الهائج ،  
 هي الأشد هولاً وفتكاً .  
 الموجة التاسعة حملت أربع عشرة امرأة  
 وفتاة ،  
 بينهن طفلتان ،  
 نقلن في شاحنة من حقول مدينة اللد  
 المحرمة

حيث كن يجتمعن ثمار الزيتون المقدس .  
 لقاطات :

المهرج

سائق الشاحنة ، : الفتى

حين رأى الجثث المكومة ،

حصيلة الموجات السابقة ،

أراد النفاذ بشاحنته نحو القرية .

العساكر أوقفته عنسوة .

وأمرؤا الركاب بالنزول .

سائق الشاحنة . : المهرج

فتى من الطيبة .

زينة الشباب .

نزل من مقعده وتوجه نحو مؤخرة الشاحنة .

نصب سلماً خشبياً وتوجه نحو النسوة والبنات

وهو يقول ،

وعيش السامعين يطول :

« انزلن يا اخواتي .  
 ولتشرع كل واحدة بطاقة هويتها  
 بيدها .  
 نحن لسنا فدائيين .  
 ولا متسللين  
 ولا مسلحين  
 ولا نازلين على طريق حيفا - تل أبيب  
 خلصة  
 ألقينا السلام عليكم  
 ألقينا السلام عليكم  
 ألقينا السلام  
 سلام  
 سلام عليكم »

وتصطف الفتيات الخمس ، وقد أسدلن على وجوههن أحجبة سوداً  
 شفافة ، في حلقة راقصة . يرقصن أمام الفتیان وهم يغنون معاً ، أغنية  
 « ألقينا السلام عليكم . »

وفيما هم على هذه الحال من الرقص والانشاد ، والمهرج منزوٍ في مكان قصي  
 وهو مكتوف اليدين ، إذا بأحد الفتیان يخرج عن الجمع ويتقدم إلى امام وهو  
 ينادي علينا :

أحد الفتیان : أعينونا يا بنات العرب !  
 بالبنات الخمس ، الراقصات الآن ،  
 لا يكتمل العدد  
 ولا تروق الحكاية .  
 أكملن النصاب ،

يا أخواتي وأمهاتي ،  
 بسبع نساء وطفلتين .  
 رقصة الموت في حاجة إلى  
 سبع نساء وطفلتين  
 حتى يجتمع لنا أربع عشرة أنثى  
 عدداً وهدرأ .

الفتى : نزلن .

فرأين الجثث المكومة .  
 فأخذن يستعطفن العساكر أن يأذنوا لهنّ  
 بالحياة :

فتاة : برأس أمك ،

يا خواجة ،

أن تتركنا نعود إلى

القرية .

فتاة أخرى : أبوس أيدك ، يا خواجة ،

خلّني لأطفالي !

فتاة ثالثة : يخليّ لك شبابك

تخليّ لي شبابي .

فتاة رابعة : السلام عليكم وعلى عيالك

يا خواجة .

وإذا بالفتية والفتيات ، ويكون المهرج في وسطهم ، ينشدون ويرددون  
 الكلمات التالية على نغم الأغنية العبرية المنتشرة عالمياً -

( هيينوا شالوم عليخم ) :

« ما نادى المنادي إلى الموت

وعزّ الطلب

في دنيا العرب .

فكيف ونحن نرقص رقصة الموت فحسب  
ونشخص تشخيصاً ! »

ونشعر بالحركة من حوالينا . ويتحاشى واحدنا النظر في عيني إلفه .  
ويكون الرقص والانشاد أمامنا قائماً . وتنجلي الحلبة عن خمس نساء يعتلين  
مسرح الصندوق وهنّ متحجبات بالأسود الشفاف .

وإذا بالفتى نفسه يعود ويهتف بنا :

« كف يا شباب ! كف يا شباب ! »

فنبلي نداءه على همّ . وبعضنا يفعلها استحياء . وبعضنا يفعلها وهو  
يشرق بدمعه . إلا أن الفتى ، وقد تهدج صوته ، يمضي في نداءه .

« بقي عليكم أن تجودوا بوالدتين

وظفليتها .

كل والدة وظفليتها .

اثنتين اثنتين

أربع أناث . فيكتمل النصاب . »

وإذا بامرأتين تندفعان خارج صفوفنا وتعلوان نحو مسرح الصندوق . كل  
امراة ووراءها طفليتها متعلقة بأذيالها . والوالدة تدفع بالطفلة بعيداً عنها  
والمولودة لا ترخي قبضتها الصغيرة عن ثوب والدتها . والمرأتان متحجبتان  
بالحجاب الأسود الشفاف . وأما الطفلتان ، ويا للعجب فسافرتان . أنهما  
سافرتان !

ويقفز المهرج من زاويته وقد حمل دفة . ويأخذ في النقر عليه صليات  
صليات .

وتتجمع النسوة ، القديمات والقادمات ، تحاول الواحدة أن تحتمي بجسم  
الأخرى . وتندفع الواحدة محاولة أن تخترق الصف الأمامي فتندفع الأخرى

والأخرى والأخرى . حتى يتحول الضغط في اتجاه المركز إلى قوة اندفاع دائري . وإذا بكرة آدمية تتشكل أمام أنظارنا . وإذا بالكرة الآدمية تدور حول مركزها في رقصة الموت التي لم يتحدث عنها بعد ، أي شاعر ولم يرسمها ، بعد ، أي رسام . إلا إذا لم نفهم طلاس الصحيفة الشبيهة بجلد الغزال . ويستمر الفتية في إنشاد أغنيتهن . ويستمر الفتى المتقدم بالهتاف ، بين الفينة والفينة . « كف يا شباب ! » ونستجيب له تارة استجابة المسحور لساحره ونوقظ الآخرين من هذا السحر تارة أخرى .

وتكون المرأتان ، بطفتيهما ، على سطح الكرة الآدمية . الطفلة تندفع نحو أمها صارخة يا أمها ! والأم تدفعها عنها صارخة : « أهربي ! أهربي يا مآه . »

وينقر المهرج على دفة صلية رتيبة . فتقفز الأم الأولى عالياً بعيداً عن الكرة الآدمية . تطلق من صدرها آهة أشبه بزغردة الأفراح ثم تسقط بعد أن تكون في حركة عفوية ، قد رفعت حجابها عن رأسها وألقته جانباً . فتندفع الطفلة نحوها فتقفز الطفلة قفزة خفيفة في الهواء ثم تسقط بالقرب من والدتها دون أن تحسن إطلاق الآهة الزغردة .

وتظل الكرة الآدمية تلف وتدور . ويطلق المهرج من دفة صلية أخرى . فتقفز الأم الثانية وتسقط كما سقطت الأولى بعد أن تطلق زغروتها وتسقط حجابها . فتندفع طفلتها نحوها مثلما فعلت الطفلة الأولى فتلقى المصير نفسه .

ويظل المهرج ينقر على دفة صلية صلية . فتقفز المرأة أو الفتاة في الهواء خارج الكرة ثم تسقط بعد أن تطلق آهتها وتسقط حجابها . حتى يسقط الجميع سوى امرأة واحدة وجدت نفسها في مركز الكرة الآدمية . وتكون منتصبه مثل نخلة باسقة بعد هدوء العاصفة . وتكون تحمل حجابها في يدها . وإذا به حجاب أحمر شفاف .

## لكع بن لكع

ونلتفت إلى المهرج فإذا هو مصاب بالذهول . يسقط دفته بين الأحجية المتناثرة ويتقدم نحو المرأة ذات الحجاب الأحمر المخلوع وهو يحاول أن يحتضنها بنظرات عينيه الواسعتين . فيشدنا المهرج إليه . ونصاب بعدوى ذهوله حتى لا نرى الفتية والفتيات يعودون إلى مقاعدهم في هدوء . ولا يبقى متناثراً فوق مسرح الصندوق سوى أحد عشر حجاباً أسود شفافاً وطفلتين سافرتين . ولا يبقى منتصباً فوق مسرح الصندوق سوى المهرج المصعوق والمرأة ذات الحجاب الأحمر في يدها . وإذا هي بدور نفسها .

- المهرج : بدور !  
بدور : بدور ذات الحجاب المخضب .  
المهرج : كنت هناك ؟  
بدور : هناك ؟  
المهرج : أعني هنا !  
بدور : كلما تراني ، إني هنا !  
المهرج : أعني هناك !  
بدور : هناك ؟  
المهرج : ربي أعني ! .. هنا .

بدور : هنا . هناك .

سامحك الله يا قشمر .

ألا تعلم أن الأسياد قد خلطوا بين

الأبعاد ؟

المهرج : بدور !

بدور : وهل يقرر المكان سوى الانسان ؟

أنت هنا وأنا هناك .

أنت وأنا الآن هنا .

نحن هنا .

كنت هناك يا قشمر .

ومثل هذه الرقصة

رقصنا في كل

مكان .

فحيث نكون علينا

أن نرقص .

رَقصوها يا حنين الصبا .

رَقصوها وهم يزفونها إلى النهر

عروسا .

خضبوها بالحناء

في شهرها التاسع

وزفوها إلى النهر

عروساً !

سلام عليها ، تلك الظبية الطريد ،

وهي تزف ،

نزيفاً نزيفاً ،

فوق بساط أرجواني من الزعتر .

ضمخوها ببخور الصندل

وجاؤوا يحملونها على مركبات من نار

عزوساً فاردة !

رقصونا يا قشمر !

المهرج : بدور !

بدور : تكلم !

المهرج : من هم ؟

بدور : أيهم الضيبة صيادها .

المهرج : والأنهار ؟

بدور : تغلو مياهها فوق حد الخطر

فيلقون في النهر بالمزيد من

العرائس .

المهرج : عرائسنا ؟

بدور : عرائسهم .

عرائسهم عرائسنا .

يعلون السدود ، يا ابن عمي ،

فيرتفع منسوب النهر .

على شطآن نهر ونهر

أقاموا أراجيح

لعرائسهم .

وفي وادي نهر آخر

ززنوا عرائسهم .

وفي آخر صانوا أعراض أفواه

عرائسهم .

وأما فروجهم فلها الانفتاح !

إن البكارة في شرقنا

خرس

والصبر في شرقنا



هو الإيمان !

إلا أن منسوب النهر يعلو

ويعلو !

ستقوم الساعة !

المهرج : بدور !

بدور : إن بركاناً يتململ تحت الأراجيح .

المهرج : بدور !

بدور : ينطلق من بين الحطام .

المهرج : بدور !

بدور : من تحت القصور .

المهرج : على مهلك !

بدور : مهلي مهلي

ويفنى أهلي ..

المهرج : مهلك !

بدور : الذل مهلك .

المهرج : استريني ، يترك الله بستره ، حتى يعضوا الطرف عن

صندوقي فأعرضه في حاراتهم .

بدور : يا ساتر . يا ساتر !

إن كلمة السرهي الستر .

المهرج : كلمة السر ؟

بدور : دم دا دم دم واحدة ،

ذات رسالة خالدة .

المهرج : دم دا دم دم ؟

بدور : جهل جهلجل واحدة

ذات رسالة خالدة .

المهرج : جهل جهلجل ؟

بدور : بلع بلع واحدة ،

ذات رسالة خالدة .

المهرج : بدور ؟

بدور : خرس خرسس واحدة ،

ذات رسالة خالدة .

المهرج : بدور ؟

بدور : حبس حبسس واحدة ،

ذات رسالة خالدة .

المهرج : سلام على عقلك !

بدور : شق شقنق واحدة ،

ذات رسالة خالدة .

المهرج : انك تهذين

وإذا بطرق شديد على ابواب القاعة ، من الخلف ومن الجانبين فشرئب اعناقنا وتقب له شعورنا .

ونسلم من خارج القاعة صياحاً : « شرطة . بوليس ، افتحوا .

افتحوا » ، وتكون بدور في اثناء هذه الجلبة تصرخ :

بدور : قشمر ، ابن عمي ، اين انا ؟ هناك ؟

فيجيها المهرج : بل هنا !

بدور : أين ؟

المهرج : في بلاد الواق الواق .

بدور : إنك تهذي

المهرج : جاء دوري !

تهذي أو لا تهذي أجيب لك أبريق الزيت ؟

بدور : ماذا ؟

المهرج : ماذا أولاً ماذا أجيب لك أبريق الزيت ؟

ويعود الطرق على الأبواب شديداً . ويعود صياح العسكر .

- بدور : دعهم يدخلون !  
 المهرج : لو أرادوا الدخول ما انتظروا اذني .  
 يحطمون الأبواب ثم يدخلون .  
 بدور : مثل أشباههم هناك .  
 المهرج : ثم يزعمون ويغيرون .  
 بدور : يزعمون ؟  
 المهرج : حتى يتقيأوا آدميتهم .  
 بدور : يغيرون على حفلة تشخيص ؟  
 المهرج : فعلوها ويفعلون ولا يشخصون  
 سوى الجثث .  
 بدور : فلماذا لا يغيرون ؟  
 المهرج : لأن الأمر الآن مجرد تشخيص .  
 جزء من أمسينا الليلة .

ثم يتحول المهرج نحونا . يحمل صنجيه ويصفق بهما ويقول :

- المهرج : لا شرطة ولا بوليس .  
 لا من هناك ولا من هنا .  
 فاهدئي يا بدور  
 واستريجوا يا جماعة .  
 لقد كانت الغارة -  
 الآن ، الآن وليس غدا -  
 مجرد تشخيص لإثارة مشاعركم  
 على الطريقة العصرية .  
 أردنا أن نمتح أعصابكم لا أن نمتحنها .  
 رحم الله شاعر الأندلس الجوال -  
 التروبادور -  
 ابن قزمان .

لما رأى الناس لا يقبلون على شعره  
 اصطحب قرداً  
 فكان يلاعبه حتى يجتمع الناس عليه  
 فيلقي قصائده .  
 لقد فعلناها .  
 وأخذناها عن العجر .  
 سقا الله أيام العجر .  
 كان الشيخ محبوب الأمصار وهو يصطحب طفلة ترقص  
 ودباً يلعب  
 وقرداً يقلد ستي العجوز وهي تعجن العجين .  
 لقد جتناكم بصندوق العجب  
 وبراقصات حتى الموت  
 وبصنوج وبدفوف  
 وبحوافر خروف .  
 فلماذا لا نجيئكم بالشرطة ،  
 بالعسكر ،  
 بالبوليس ؟  
 كلسه مجرد تشخيص !

وإذا بامرأة ، أم أطفال ، تنتفض واقفة من بين مقاعدنا وهي تصرخ في وجهه :

« كان جديراً بكم أن تعلنوا عن منع الاولاد دون السادسة عشرة  
 من الاشتراك في هذه السهرة - كما يعلنون في الأفلام السينمائية .  
 أخفتم أطفالنا ! »

فيجيبها المهرج : كان هذا الأمر ممكناً ،  
 يا أختي ،

لو كان من الممكن أن تقي الأولاد

دون السادسة عشرة  
بطاقة خُطَّ فيها أن  
« لا تقتل الأولاد دون السادسة عشرة »  
ثم تلتصق بقنبلة تهوي على  
صور وصيدا .

ثم يتحول المهرج نحو بدور ويقول :

« تعالي ، يا بدور .  
أعينيني على إيقاظ الطفلتين  
وعلى دفن الأحجة السوداء  
لعلنا نقوم بعمل مفيد واحد  
في هذه الليلة . »

وفيا تقوم بدور بهذا العمل المفيد يأخذ المهرج بالتصفيق بصنجه . ثم  
يسحب صندوقه بعيداً بعيداً ووراءه تمشي بدور تحمل الأحجة السوداء  
ووراءها الطفلتان .

ونسلم المهرج يقول :

« موعدنا القريب ، أيها الجمع الحبيب ، في الجلسة الثانية على مقعد  
الصندوق . » .

ونسلمهم جميعاً يهتفون ، وهم يخنفون عن أنظارنا :

« صندوق العجايب ، الحاضر يعلم الغائب . الحاضر يعلم الغائب »

فنصفق طويلاً . ونخرج لتناول المرطبات وفي حلوقنا غصة وفي صدورنا  
انقباض . ونرغب في أن نسترجع أموراً في مشاهد الصندوق تذهب  
بانقباضنا . فنبتسم إعجاباً بأنفسنا ولسان حال الجماعة يقول :

« مالنا وهذه الهموم ؟ ! »

الجلسة الثانية

بدر..

« الجـدع جـدع  
والجـبان جـبان »

شعر أحمد فؤاد نجم  
غناء الشيخ إمام

- ١ -

## فلافل ! فلافل !

الحارة هي الحارة . وأهلها هم أهلها : قاعدة قاعدية تصلح في كل مكان وفي كل زمان إلا في بلادنا وفي زماننا . ففي بلادنا أصبح الشذوذ هو القاعدة والقاعدة هي الشذوذ .

فعلى أيهما نبني ؟

خذ لك مدينة الناصرة الأخاذة . فقد بقيت مثلاً على هذا الشذوذ الأخذ : أبقوا القديم من حاراتها على قدمه ، سجنناً متداعي الجدران . وظل أهلها هم أهلها لم يتبدلوا لا في ظاهر ولا في باطن - شعباً ولغة وتقاليد موروثه تكبر مع الصغير حين يكبر ويتزين بزينة الحياة الدنيا ويأخذ في ترميم ما تهدم من جدران وما تداعي من تقاليد .

ولا يتبادرنّ إلى أذهانكم إنني بهذا القدح ، أو ، إن شئت ، بهذا المدح أحص ، من دون العمران الظاهر ، ناصرة الظاهر عمر - المنارة المشيدة فوق جبل القفزة ، ناراً أبدية تخلد ذكرى بني تغلب الذين أقاموا ، كما تناقل الرواة ، في مرج بني عامر .

حاشا وكلا !



إلا أن حديث بني تغلب في مرج بني عامر ذو شجون . كان الرواة ، فيما مضى ، يجوبون بلاد العرب على بساط الريح . يشرقون ويغربون ما وسعتهم أخيلتهم الخيالة . البلاد بلادنا والخيال خيالنا نجتمع فيها وبه كما نشاء . كل سهل قريب وكل جدار طيب ! كان ذلك قبل مجيء الرجل الأبيض واستخراج الذهب الأسود .

فأنت تقرأ ، في الحكاية الشعبية - « قصة الزير سالم أبي ليلي المهلهل الكبير » - ان بني تغلب استوطنوا بادية الشام . وإذا بالحكواتي يطير بهم فإذا هم ، بلا مقدمة ولا مؤخرة ، مقيمون في مرج بن عامر في فلسطين . فماذا عدا مما بدا ؟ « قصة الزير سالم أبي ليلي المهلهل الكبير » حكاية تروى في أرض الله الواسعة القائمة ما بين المحيط والخليج . لقد أعدتها إليه ، ذي الجلال ، موقناً أنه قادر ، عزّ وجلّ ، على أن يصونها .

ويبدو لي أن البطولة ، حتى في سالف العصر والأوان ، لا تحق لصاحبها إلا إذا أقام في فلسطين ، صابراً متصبراً ، وعلى مشارف الناصرة شرطاً .  
فما من قذح فيما ذكرت عن حارات الناصرة سوى قذح زناد .

أضف إلى هذه الواقعة البسطريجية\* أن اسم الناصرة منتشر في العديد من معالم العمران . تتعدد الناصرات في الدنيا تعدد اسم الأسد في لغتها أو نيف . ونحن نعلم ، على سبيل المثال ، عن ناصرة ، نازاريت - أطلقت على حاضرة من حواضر الولايات المتحدة الأمريكية . ولا نعلم عن نسبها شيئاً . وأسفرت ثورة ميريام الأثيوبية عن الوجه المشرق ، الملهب بارادة التغيير ، للناصره الحبشية . وأنسابنا الحبشية ، عبر اليمن السعيد ، ضاربة في غور التاريخ . وقد تجددت نسبة إلى تلهفنا على التجديد . فنعم القديم ونعم الجديد .

وفي بلادنا شيدوا « قرينة » للناصره . وهي الناصرة العليا ، العلية ، الباب العالي ، « نصرات عيليت » . فتظهر ، كما تظهر « القرينة » ، لناصرتنا في الليل البهيم : بهيمة لها عدة رؤوس مصابة بالعاهة البابلية . أرادوا لها أن تظهر ، في الليل البهيم ، لناصرتنا حتى تردعها عن شق طريقها في الليل البهيم وتصرفها عن سواء السبيل في الليل البهيم فتضل فتهلك . غير أن ناصرتنا قائمة على أرض مأسدة . و « القرينة » ، مها تترين وتتحضر تظل عجزاً قائمة على حافة قبرها تحتضر .

إن في السماء خبراً . وإن في الأرض لعبراً . فما بال البهائم لا تفقه ؟ !  
أرض الله واسعة . وخلقه مرتبطو الأنساب حتى لا « دم نقي » سوى دم البهائم . وهذه البدعة البهيمية لم تأتنا إلا على لسان البهائم .

وكان في بلادنا - ويا ما كان في بلادنا - وزير للمعارف وللثقافة بلغ به الخلط بين وطنية الأدميين وبدعة البهائم شأواً عجيباً . فلما لم يجد في تاريخنا ذكراً لهذه البدعة أنكر علينا الوطن !

إلخقوني ، أيها المؤرخون والمستشرقون والمستعربون ! هل هناك من مرآة تعكس أفكار عامة الناس ومشاعرهم أصفى من الحكاية الشعبية ؟ ولقد وجدت في « قصة الزير سالم ، أبي ليلي المهلهل الكبير » ، وهي تعود في أصلها إلى شخصية هذا البطل الجاهلي وظل الرواة الشعبيون يتناقلونها عبر ألف عام ونيف وإلى يومنا هذا ، حديثاً مثيراً يصلح مفاضلة بين معارف البشر وثقافتهم وبين بدعة البهائم .

وذلك حين غدر قوم جساس بالزير سالم ، أبي ليلي المهلهل الكبير . أنخنوه بالجراح ثم حشروه في صندوق ألقوه في البحر . فجرفه التيار إلى شاطئ في مملكة « الملك حكمون ، ملك بني إسرائيل » . فاحتفل به حتى

تعاقي . فأوكله بسياسة الخيل . ومن هنا نترك الرواية للرواية .

« فانتخب له فرساً من أطايب الأفراس . كانت طويلة العنق قصيرة الرأس . وأجود من القميرة فرس جساس . فاعتنى بتربيتها حتى حالت . فأخذها إلى شاطئ البحر . فخرج عليها حصان من البحر . فشبّ عليها فراحت حامل . وبعد عام ولدت مهر أدهم . وكان كامل الأوصاف ململاً . فسماه الأخرج لخروج أبيه من البحر . ثم فعل معها ذلك الفعل ثانية . فولدت له مهراً آخر كأنه الأبرج ، حصان عتتر . فسماه أبا حجلان . واعتنى بها دون باقي الخيل . وكان يسوسهما في النهار والليل . . »

قال الراوي : « واتفق ، في تلك الأيام ، أن برجيس الصليبي ، أحد ملوك الأروام ، خرج مع أخيه في مئتي ألف رجل من بلاد كسروان لمحاربة حكمون اليهودي . . وعند إشراق الصباح التقى العسكران وتقاتل الجمعان في ساحة الميدان والتقت الفرسان الصليبية بالأبطال الاسرائيلية » .

إلا أن الأبطال الاسرائيلية هزمت في هذه المعركة ، في ذلك الزمان . وكان المهلهل يحثهم على القتال وعلى الصمود . فرأته ابنة الملك حكمون . وكان اسمها أستير . فعلمت أنه بطل نحري . فطلبت من أبيها أن يستدعيه . ففعل . فامتطى المهلهل صهوة جواده الأخرج . وحارب الصليبيين فأبلى بلاء حسناً حتى هزمهم .

قال الراوي : « وعظمت منزلة الزير عند حكمون . وقال : مثلك تكون الفرسان . فانك اليوم عندي كالولد ، وأعز من الروح في الجسد . فلولاك كنت في حال تعيس واستولى علينا الملك برجيس . . »

وكان الملك قد مال إليه كل الميل . فقدمه على جميع فرسان الخيل . ورفع منزلته على الكبير والصغير . ولقبه بالأمير . . وأكرمه غاية الإكرام . وأجلسه

على سفرة الطعام . فلما فرغوا من الأكل وشرب المدام ، قال له الملك تمنى عليّ أيها الأمير ، والسيد الخطير . فمهما تطلب أعطيك دون تأخير . فطلب منه الزير أن يعطيه السيف والدرع والمهر الأخرج . وأن يجهز له سفينة ويرسله إلى مدينة حيفا . ومن هناك يسير وحده إلى مرج بن عامر محل إقامته لأن نفسه اشتاقت إلى أهله وعشيرته . » .

فلبى الملك حكمون طلب الزير سالم ، أبي ليلي المهلهل الكبير - الخليف للحليف والخل الوفي للخل الوفي .

وهكذا عاد الزير سالم سالماً إلى أهله وعشيرته في مرج بن عامر سالماً الطريق المرجية من حيفا إلى ديار بني تغلب في مرج بن عامر . والحمد لله ، الذي لا يحمد على مكروه سواه ، على ما أصاب بني تغلب من سيطرة البدعة البهيمية . وأنظر كيف اختارت العرب العاربة ، على مر السنين والعصور ، ملكاً وهمياً من ملوك بني إسرائيل ملجأً لبطلهم الأسطوري الصنديد وفارسهم العنيد وصديقاً وفيّاً في العاديات حتى كأنه السمؤل بن عاديا ، والسمؤل من قبله . فسبحان خالق الأرض والسماوات الذي خلقهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا .

هذا ما جرى لبني تغلب وحيفا ومرج بن عامر ولحارات الناصرة التي بقيت وبقي أهلها - شذوذاً عن القاعدة الشاذة في بلادنا الشاذة .

أما ما جرى للشذوذ الذي أصبح قاعدة في بلادنا فخير مثل أضربه لكم عنه هو مدينة يافا القديمة . ولا أعني يافا القديمة تعميماً . بل أخص حياً واحداً من أحيائها الباقية . فالتعميم في بلادنا يؤدي إلى التعميم .

إننا نتحدث عن البشر الأحياء منهم لا الأموات . فلا نستطيع أن ندرج فيهم مقابر يافا على شاطئ البحر الأبيض المتوسط . فانهم أقاموا فوقها فندق

هيلتون . وما فاض عن حاجته أصبح منتزهاً عاماً يتعاطى فيه رواده الحب والعدرة والمخدرات والشذوذ الجنسي والمهربات .

كما أننا لا نستطيع أن نتحدث ، في مجال القاعدة والشذوذ والقاعدة الشاذة ، عن حي العجمي في يافا . فقد ظل ، حتى كتابة هذه السطور ، يتكلم العربية الملوثة . وهذه الواقعة هي التي جنت عليه كما جنت اختها على عكا القديمة . لقد أهمل فأصبح جوه ملوثاً حتى غضبت الشمس عليه فبخلت عليه بنورها . إلا أن العين البصيرة ، ذات اليد القصيرة ، تستطيع أن تحترق ركام المزابل والوجوه الصفراء فترى أطلال الهندسة العربية ، تلك التي انتشرت حتى الأندلس واجتازت بحر الظلمات .

وحين كنا في هفانا دي كوبا دعينا إلى مأدبة عشاء أقامها لنا رفاق ورفيقات كوبيون في مطعم تحيط شرفاته ، ذات الأعمدة الشرقية الشبيهة بقامات الغواني ، صحن بيت قديم ذكرني بأبنية يافا القديمة وعكا القديمة . وكانوا يعزفون ألحاناً كوبية أندلسية . وكنا نشرب عصير البرتقال . وكانت الألحان تعصر حشاشاتنا . واغرورت عيوننا بدموع الفرحة بالحلم الشرقي القديم الذي قدر على بحر الظلمات فتحقق في كوبا . ما أعظمه وما أشد إشراقه ! وهتفت ، كما نهتف حين ننشئ بالطرب : « ما غالب إلا الله » ! وكان إخواني يرددون : « الله ! الله ! » !

فقد أتاني ، اللحظة ، شعار دولة المرابطين في الأندلس ، آخر من نطق بها في الأندلس - « ما غالب إلا الله » . أتاني ما قرأته عن رحالة أوروبي عصري وجد ، في سقف كنيسة مكسيكية ، نقشاً عربياً ، خطوطاً متناسقة وملونة في نقش بديع ذكره بالنقوش في قباب جامع قرطبة الكبير على قوارير ساحة الرياحين في حمراء غرناطة . فتصفحه ملياً حتى فك رموزه وقرأ شعار المرابطين : « ما غالب إلا الله » .

شعار نقشه عبد عربي صانع ، بناء ، أندلسي بائس . مقطوع في بلاد نائية . نقشه تعزية وحتى يقوى على الاستمرار في الحياة .

ورأيته ، بعيني خيالي ، يسترق الخطى صعوداً إلى سقف الكنيسة حتى يطرح السلام على نقشه ويستجير بنقشه . ورأيته ، بعيني خيالي ، وهو يحرق بنقوشه ويلمسها ويمر بأصابعه المعروفة عليها مرأ خفيفاً ، لمس العاشق شفتي معشوقته . ورأيته ، بعيني خيالي ، وحيداً في كوخ طيني أحرس وأعمى ، بلا أنيس وبلا ضوء في الليل الغريب ، وقد افترش الأرض المجهولة وأسند رأسه المتعب إلى كفيّه وأخذ يبني ، من كلمات نقشه ، جسراً فوق بحر الظلمات . ثم أخذ يمشي فوق هذا الجسر عائداً إلى والديه وإلى اخوته وإلى والدته . أين بدور ؟ كيف حالها بعدي ؟ الله ! الله ! يا عكا القديمة . الله ! الله ! يا يافا لقديمة .

هذا ما جرى لحي العجمي في يافا وما جرى لعكا القديمة في هفانا .

أما الحي القديم في يافا القديمة ، الذي أضربه مثلاً على القاعدة الشاذة في بلادنا ، فهو « ساحة الساعة » . حين تعبر الشارع القديم من تل أبيب إلى يافا وتشم رائحة البحر تجدك في ساحة الساعة .

الساعة في مركز الساحة . أشبه بمئذنة شامخة . قامة منتصبه لم يحنها الزمن كما لم يحن قامه شيخ من أولئك الذين اشتروا ، أيام الشباب ، في ثورة ١٩٣٦ . وفوق القامة المنتصبه ساعة ضائعة تحصي الزمن الضائع .

وعلى أحد الجانبين تكمن للخلق درنة مسخمة كبيرة محاطة بسور فوقه وأمامه أسلاك شائكة . تلك هي وجار الشرطة . ويضم سجناً أولياً ، مثل قولك : « إسعاف أولى » . يجري فيه اسعاف الزبون باللحم وبالركل . ذاك بالقوائم الأمامية وهذا بالقوائم الخلفية .

هنا وقع الصدام الدموي بين قوات الجيش والشرطة البريطانية وبين التظاهرة الشعبية الوطنية الكبرى في ٢٧ تشرين الأول ١٩٣٣ . وكان صدرها من صدور عمال يافا وبحارة يافا . وسقط منهم ثلاثون قتيلاً عدا العدد الكبير من الجرحى . إلا أن دم الشهيد يظل يلح ويستطعم . كانوا غزلاً إلا من جراحهم . فكروا على الدرنة وأوقعوا الخيالة عن خيولها . تكفنوا بالأسلاك الشائكة وأشهدوا الساعة على أنهم لم ييخلوا بأرواحهم حتى تقوم !

وأما في الجانب المقابل للدرنة فتصبر على الزمن الضائع حوانيت قديمة - منذ أيام العرب - تباع فيها المأكولات الشعبية ، من الفلافل حتى حساء العدس . بقيت الدكاكين وبقيت أسماء المأكولات . وفوق الدكاكين تزاхمت المقاهي الشعبية الذابلة . تصعد إليها على درجات ضيقة ومعتمة . على هذه الدرجات كنا ننترق الخطى ونتسلل ، في إستحياء ، إلى حيث يفرغ الشعب فراغه . فإذا مسكنا كنا نعتذر ونقول : علينا أن نكون مع الشعب دائماً . وما نحن هنا معه ، في بؤسه وفي بوسه !

لقد ظلت الحوانيت والمأكولات وأعراض البؤس والبوس على حالها ، منذ أن غادرتنا بدور .

ولكن نيراناً أخرى تشتعل الآن في أنافئها .

فلافل ! فلافل !

## تموت الحمير وتحيَا الزرِيبة

أما في حارتنا ، في سهرتنا الممتعة مع صندوق العجَب ومع المهرج العجيب ، فقد بقيت الحارة وبقي أهلها . كأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا .  
بدر ؟ شهيد الزمن الضائع .

ونحن ؟ أيحسب ما نمضيه من زمن في هذه السهرة ، الملهاة ، في الزمن الضائع ؟  
مسكين المؤلف !

كم ضيَّع من زمن ، من عمره ، حتى يفرغ همَّه في ليلة من ليالينا الفارغة . على أيش ؟ هؤلاء المثقفون المتحررون ! يسكبون عصارة قلوبهم في الكلمة وهم يحسبون أنها قادرة على قلب العالم ! الكلمة وحدها ؟

ولولم تكن وحدها !

هل بخل أبأؤنا بأرواحهم ؟ فلماذا نلومهم على الزمن الضائع ؟ هل هم ضيَّعوه ؟ !

وفيا نحن في هذه الهموم ، قاعدين على مقاعدنا ننتظر ، إذا بخفوت الأنوار ينبؤنا بأن المهرج ، بصندوقه ، يوشك على أن يعود إلينا . فنهرب من همومنا



إليه وواحدنا يتفرس في وجوه جيرانه وجاراته لعل بدوراً ، أو غيرها من المشخصين ، بينهم .

وتمسك الريبة بأنفاسنا . فواحدنا يعرف الجميع . وكلنا معرفة . وقد يكون عبد الله ، زوج جارتنا الحسنة ، أمة الله ، واحداً من المشخصين وقد أخفى الأمر علينا . ها هي أمة الله . فأين زاغ زوجها ؟ الله ! الله ! يا عبد الله على هذه النعمة . هل زمنه ، هو أيضاً ضائع ؟!

وتشطبنا الريبة شططاً شططاً : هل أنا واحد منهم ؟ هل نحن ؟ هل جئنا نتفرج على التشخيص أم جاء المهرج ليوقع بنا ؟ سمعت هذا المهرج ، يوماً ، يردد كلمة علي بن أبي طالب إن « أفعالكم أنطقتنا » . هل تورطنا ؟ بالقلب ، هل تورطنا ؟!

اطفئوا الأنوار في القاعة حتى يظل ما في القلب في القلب مستوراً لا تراه العيون . اطفئوا الأنوار حتى نتقي عيني هذا المهرج أو يتقي عيوننا .

وفيما نكون نهتف هذا الهتاف في سرائرنا إذا بهاتف من بين صفوفنا يهتف : « أطفئ الضو ، أطفئ الضو ! . فيرد عليه آخر : « هل عادت الحرب ؟ » فيجيبه الأول : « بل عاد قشمر بن غمرة » .

وإذا بنا نسمع صفق الصنوج . فيغمض الظلام عيونه سوى أضواء مسلطة على مسرح الصندوق . وإذا بالمهرج يعود وهو يدفع بصندوقه . ونسمعه يقول :

« إن الحرب لا تعود ، يا أولادي ، بل تأتي .

الحرب تُقدِّم . الحرب تحيء .

فما من حرب إلا جديدة حتى ولو استعملت فيها الأسلحة القديمة .

الضححايا جديدة ، في كل حرب ، يا أولادي .

والقتيل لا يقتل مرة ثانية .  
 إلا بالكلمة . .  
 والقذيفة ، بعد اطلاقها ، لا ترد .  
 ولا تغسل ولا يعاد استعمالها .  
 الحرب لا تعود .  
 الحرب تحيي » .

وإذا بنا نسمع هتافاً أنشويّاً أن « يحيا السلام ! يحيا السلام ! » يتردد ويعلو  
 باقتراب صاحبه منا .

وإذا بحمار أعجم ، أعني حماراً أصيلاً ، يُدفع نحو المهرج وقد زرکش  
 بمثل ما زرکش المهرج صندوقه بل أكثر رونقاً . وتكون امرأة مهندمة ، أنثى لا  
 غبار عليها ، تسوقه من مؤخرته فلا يتأخر . وتكون تهمزه بعصا في يدها وتردد  
 هتافها : « يحيا السلام ! يحيا السلام ! . فتطربنا رؤية الحمار فنضحك عالياً  
 كما لم نضحك منذ ثلاثين عاماً . وتضحكنا ، خصوصاً ، ضحكات أطفالنا  
 وقد خرجوا عن الطور .

يقيناً ان أطفالنا لم يجرموا ، بعد ، من مشاهدة الحمير . إلا أن هذه الهيبة  
 الملكية ، التي يتمخطر بها حمارنا على وقع « يحيا السلام ! يحيا السلام ! »  
 وَيَتَمَخَّطُ على مسرح الصندوق كما لو أنه رئيس أمريكي يلقي كلمة ارتجالية  
 أمام المكرفون ، منظر لم يشاهده أطفالنا ، منذ أيام العرب . مثلما لم  
 يشاهدوا ، في عزلتنا المثيرة ، راقصات البطن الذائع الصيت وهيبة الملوك  
 والأمراء وشيوخ النفط ، وجهاً لوجه . ونستثني الرؤساء لسبيين : أولهما أننا  
 مرؤوسون ، رئيس تحت رئيس واهلمجرا حتى لم يبق مرؤوساً  
 سوانا . وثانيهما أنهم شاهدوا كافور الاخشيدي ، من بعيد لبعيد . فكفروا  
 بالرؤساء ولم يعد هذا الشكل يضحكم . فلا عجب إن أصابهم ، الآن ،  
 العجب . فاغربوا في الضحك وفي الطرب .

ويخيل إلينا أن المهرج قد اندمج في هذا الجو المرح . فها هو يبدأ في الجلسة الثانية على مقعد الصندوق وهو منفرج الأسارير يقول ، وعمر السامعين يطول :

« لا بأس . لا بأس يا أولادي .

اضحكوا !

فالضحك يطلق اللسان

ويشفي من خرس .

يا أجيال الصمت !

آن لك أن تضحكي .

تكلمي !

فإذا لم تتكلمي ، اضحكي !

اضحكوا . اضحكوا .

إذا حبسوا أنينكم ، انفجروا ضحكاً .

انفجروا ضحكاً .

الضحك سلاح ماضٍ ذو حد واحد .

لوضحك السجناء كلهم ، في لحظة واحدة معاً ، واستمروا في الضحك ،

هل يستطيع السجن أن يضحك ؟

إذا قالوا لكم أن الضحك بلا سبب من قلة الأدب ،

كونوا قليلي الأدب !

شر البلية ما يضحك .

فهل هناك بلية أشد من هذه البلية ؟

اضحكوا !

العين للبصر والأذن للسمع واليد للمس والقدم للقبل .

فاضحكوا !

ولولا خوفاً من أن ينتبهوا إلى هذا السلاح فيشرعوا قانوناً يحظرون به

عليكم ماء البحر والضحك . .

لا غرقتكم بالضحك .  
اضحكوا ! »

ونكون نضحك ونصفق . ونكون في هرج ومرج . وتكون المرأة تردد هتافها وتلمس دبر الحمار وذيله بكفها البضة . وإذا بالمرج يصفق بصنجيه ويتحول نحو الفتاة المهندمة قائلاً :

المهرج : السلام يجيا ، ياست الحسن ، يجيا السلام . ولكن ،  
ما هذا ؟

ست الحسن : حمار

المهرج : أشهر من أن يعرف . ولكن ، أما كان أصلح لك أن  
تقتني دراجة ؟

ست الحسن : هذا يطلع الطلعة بغير جهد مني .

المهرج : دراجة بخارية .

ست الحسن : هذا يأكل شعيراً ولا يحتاج إلى بنزيل

المهرج : بنزيل ؟

ست الحسن : بنزيم

المهرج : نفظ ، ياست الحسن . نفظ . بترو . بترو . . .

ست الحسن : بترو ؟ هذا هو اسمه .

بترو

المهرج : وله اسم . عاشت الأسامي .

تساوينا والحمد لله .

ست الحسن : بهذا الاسم - بترو - وجدتهم ينادونه .

المهرج : أين ؟

ست الحسن : على شاطئ في بحر البلطيق .

المهرج : هل استولى عليه الأوروبيون مصدراً بديلاً للطاقة ؟

ست الحسن : طاقة الأخفاء ؟ كان حاسر الرأس حافياً .

المهرج : الطاقة !

- الطاقة البترولية يا ست الحسن .  
 الطاقة البترولية التي تجف وتبقى المستنقعات .  
 الليموزينات والمستنقعات .  
 بعد أن ملأوا معاصم نساتهم بالأساور الدبابات ، أخذوا  
 يشترون الدبابات . الدبابات للمحافظة على المستنقعات .  
 هل سيلاحقونا على الحمير بعد أن جففوا البترول ؟  
 ألا يكفوا شرهم عنا ؟  
 بعد البترول دولارز حميرو دولارز ؟ !  
 ست الحسن : وجدتهم يعرضونه على المصطافين في الشمال .  
 كانوا يركبونه . كل راكب الدقيقة بشلن .  
 فكييت .  
 المهرج : بكييت ؟  
 ست الحسن : مظلوم . ركبوه في كل مكان .  
 أصله من الشرق وهم أورييون .  
 وطنه في الشرق ويجب أن يعود إلى وطنه .  
 بترو المسكين ..  
 المهرج : حصل تعارف ؟  
 ست الحسن : قلت إذا كانوا يركبونه فلماذا لا أركبه ؟  
 المهرج : واللقساء ؟  
 ست الحسن : رفع قائمته الأماميتين  
 المهرج : بترو ... !  
 ست الحسن : مجرد تحية  
 المهرج : ست الحسن .. !  
 ست الحسن : عيب ..  
 المهرج : فكيف انطلقتما ؟  
 ست الحسن : راكباً ومركوباً .

امتطيته فاستراحت ضمائرهم المعذبة .

المهرج : ضمائرهم ؟

ست الحسن : ضمير أوروبنا النقي .

أورو ضمير !

إذا تلطخ وعذبهم غسلوه بالدموع وبالدماء حتى يظهر .

المهرج : بالدموع وبالدماء ؟

ست الحسن : بدموعهم ویدماء الشعوب الأخرى .

أورو حمير . .

المهرج : فكيف سمحوا له بالدخول إلى وطن الآباء والأجداد ؟

ست الحسن : خيروه بين أمرين لا ثالث لهما .

إما أن يثبت أنه مخصي . .

المهرج : تقصدين مخصي .

مخصي يا ست الحسن .

ست الحسن : لا . مخصي هذه المرة .

خ خ خ . مخصي .

المهرج : كلنا مخصي . وكلنا مسؤول عن بيضاته .

ست الحسن : أو يبرز شهادة يثبت بها أن أمه كانت هنا من قبل ألفي عام .

المهرج : ماذا كانت تفعل هنا ؟

ست الحسن : جاهل ! حمار !

كلكم حمار !

المهرج : بدأننا ؟

ست الحسن : لو لم تكونوا حميراً لاضطر حماري إلى خلع جلده .

المهرج : تأدبسي !

ست الحسن : لا تلوموا حماري

وإذا بالمرأة تجهش بالبكاء وتولول .

المهرج : والآن ! ما بيكيك يا ست الحسن ؟

- ست الحسن : الجليل .
- المهرج : ماله ؟ كفى الشر ؟
- ست الحسن : بترو يرفض أن يستوطن في مكان آخر .
- إما الجليل أو الموت الزؤام .
- يحى السلام ! يحى السلام !
- المهرج : ولا في القرية التي تمشي على أربع ؟
- ست الحسن : الجليل لا الخليل !
- يحى السلام ! يحى السلام !
- المهرج : حلو . حلو .
- ولكن ، ما شأن الاستيطان بالسلام ؟
- ست الحسن : السلام على الجليل !
- المهرج : وأهل الجليل ورحمة الله وبركاته .
- ولكن .. ؟
- ست الحسن : لكن أو ما لكن . بترو محب للسلام .
- المهرج : سلام ؟ !
- ست الحسن : سلام أو لا سلام . بترو مبدئي
- المهرج : مبدئي ؟ !
- ست الحسن : مبدئي أو لا مبدئي . بترو ليس من غوش أيونيم .
- المهرج : أيضاً ؟ !
- ست الحسن : بترو يرفض أن يرعى خارج الخط الأخضر ولن يأكل عليه إلا في الزريبة .
- الجليل لا الخليل !
- يحى السلام ! يحى السلام !
- المهرج : زريبة يا بنت الغريبة !
- فلماذا كنت تبكين ؟
- ست الحسن : التهويد !
- المهرج : ماله ؟ كفى الشر !

- ست الحسن : يقولون أنهم يريدون تهويد الجليل لا تحميره .  
 المهرج : يلعن الحمير وسيرتها !  
 ست الحسن : يا عدو السلام !  
 المهرج : من ؟ أنا ؟  
 ست الحسن : بربري ! برايرة ! فاشست !  
 المهرج : من ؟ نحن ؟  
 ست الحسن : يا عدو الإنسانية والمدنية والعالم الحر !  
 يا عدو الديمقراطية وأمرهم شورى بينهم !  
 المهرج : واحدة واحدة .  
 ست الحسن : كله !

يا عدو البساتين والزهور والرياض والحدائق الشعبية وبارك  
 كندا

وبارك تشرشل

وبارك ترومان

وبارك سوموزا وبارك فرموزا !

المهرج : هدي على بغلتك !

ست الحسن : يا قاتل الأطفال والنساء الخوامل !

لا حماري !

المهرج : لا حماري ؟

ست الحسن : لا حماري !

المهرج : نحن أولاد عم يا ست الحسن !

ست الحسن : لا حماري !

لا حماري أحمر .

أحمر حماري ! ماري . ري . ييي

وتنفجر بالصراخ وباللولة . والمهرج يقف مبهوتاً . وأما نحن فنقعِد على  
 مثل حاله .



وتقفز ست الحسن فإذا هي فوق ظهر حمارها تشرع في يدها عصاها وتشن  
الغارة على المهرج وهي ترغي وتزبد وتنشد :

« حماري كان دلال المنايا  
فخاض غمارها وشرى وبعاء  
وسيفي كان في الهيجا طبيياً  
يداوي رأس من يشكو الصداعا » .  
وتنحر المهرج بعصاها وهي تصيح :

« الفاشوش ! الفاشوش !

يا لثارات العروش !

رؤوسهم داويتها واعجازهم ثبتها على العروش .

سيف . فليشرع .

الآن ، الآن ، وليس غدا

أجراس العودة فلتقرع !

يا لثارات بحر البلطيق ! يا لثارات الرومان والإغريق ! . انهق ،

يا حماري ، فقد حمّ النهيق ! »

وتحول عصاها نحو الحمار نفسه . تارة تهمزه في مؤخرته وتارة تضربه على  
رأسه حتى يشرع في النهيق الحقيقي . فتعود إلى شن الغارة على المهرج بمزيد  
من الحماس وهي تصيح متفائلة : « لقد نهق ! متحمس ! سعيد !

فيتحاشاها المهرج ويراوغها وهو يستعطفها أن تترفق بالحمار ويقول :

« ترفقي بالحمار ! الحمار حمارك ! الحمار ينهق من شدة الوجع ! »

فتجيبه ، وهي تصول وتجول :

« تموت الحمير ويحي الوطن ! تموت الحمير ويحي الاسطبل ! تموت

الحمير وتحي الزريبة ! تموت الحمير وتحي الزريبة ! »

وتغيب عن أنظارنا وهي تردد هذا الشعار المثير حتى يتلاشى .

## جريدة من الوطاويط تصيت : وط . وط . يوط . يوط !

وفما نكون بين معجب ولائم ، ومصفق وواجم ، إذا بالمهرج يعود إلينا  
وهو يصلح هندامه ويتهد ثم يقول :

« كلنا في الهم شرق .  
كلنا في الصبر شرق  
كلنا في الصبر حمار .  
عاشوا كما عاش آباء لهم سلفوا  
وأورثوا الدين تقليداً كما وجدوا  
فما يراعون ما قالوا وما سمعوا  
ولا يبالون - من غي - لمن سجدوا \* »

« اقرأوا الدين ديناً حتى تمضي هذه الليلة علينا بسلام . الأبيات لأبي  
العلاء . وتخطئون إن حسبتم أنهم دسوا السم في طعام شاعرنا الفيلسوف  
بجريرتها . فالسما لا تدرس السم للمستظلين بها بل تظللهم . حاشا أن

يقتله صاحب الدين بل قتله أصحاب الدين . أولئك الذين دعا الناس إلى أن لا يسجدوا لهم .

لا ، يا ست الحسن ، لست لا حماري . فكلنا عبيد الله . وأنا أجلُّ الحمار عن أن أطلبه بما أطلب به ذوي العقل واليد واللسان .  
خصوصاً وأن حمارك ، يا ست الحسن ، لا يرى حوله سوى الصابرين والصابرات .

وإذا بيدور أم بدر ، بدور ذات الجمال الخريفي ، تعود إلى المهرج تهرول وإمارات الاستياء بادية على وجهها . وتتقدم نحوه معنفة وتقول :

« هناك من لم يصبر ، يا ابن عمي !  
أتغمط بدران نفاذ صبره ؟  
إن بدران لم يصبر يا ابن غمرة .  
ولا بدران . ولا بدرية . ولا بيدرا ! »

فيجيبها المهرج :

« بدر قتله الصبر ، يا بدور .  
الصبر الموروث . الزمن الضائع .  
ألم تسأل نفسك ، يوماً ، لماذا اخترنا كلمة الجلالة كي نغدها على أصحاب الجلالة ؟  
فأبأنا لم يروا من الجلال ، ولم يبهرهم ، سوى جلال الدابة - البردعة .  
جلل الإجماع بها ظهور دوابهم حتى لا تتأذى أعجازهم الرخوة .  
فهل أصبح أصحاب الجلالة أصحاب جلالة لأننا أركبناهم على الأجلال ؟  
على البرادع ؟ »

بدور : بدر قتله نفاذ الصبر من هذا الأمر .  
المهرج : بدر بريء . بدر بطل .

- بدر القتيل يا أم بدر .  
 فلماذا أنتم ساجدون للاعجاز المستجلة ؟  
 بدور : حاجة ..  
 المهرج : فأية حاجة دفعتمكم إلى أن تبردعوا دوابكم ؟  
 بدور : في بلاد العور أعور عينك .  
 المهرج : عراة من وطن ومن علم  
 وسروجهم من ذهب ؟  
 بدور : كل حزب بما لديهم فرحون\*  
 المهرج : صدق الله العظيم .  
 فلماذا نلوم المجوس ؟  
 بدور : المجوس ؟  
 المهرج : كلام عاشقين ، يا بدور ، لا يفهمه سوانا .  
 بدور : عشقنا ممنوع  
 المهرج : العشق ممنوع .  
 بدور : ما شأن المجوس ؟  
 المهرج : رحم الله أبا العلاء المعري ، شاعرنا الفيلسوف . مات  
 مسموماً لأنه قال ، فيما قال ، ما سوف أحرفه كي لا أموت  
 مسموماً :

هفت الخنيفة والنصارى ما اهدوا  
 ويهود حارت والمجوس مزلله  
 اثنان أهل الأرض : ذو عقل بلا  
 صبر وأخر صابر لا عقل له !  
 فلماذا نلوم المجوس ؟  
 هل فهمتم ؟

ويخرجنا كلامه . ويكون بيننا مثقفون قرأوا لزوميات المعري ، في لزوم  
 ما لا يلزم . فأدركوا التحريف الذي أجراه المهرج على البيتين اللذين  
 استشهد بهما ، حتى لا يستشهد . فسمعهم يهمهمون في فزع : « لا لزوم  
 لهذا الشعر ! لا لزوم ! لا لزوم ! » .

فبيتسم المهرج ويعيد علينا سؤاله :

« هل فهمتم أم أشرح ؟ أجبوا ؟ »

فيطبق صمت . فلا يكف المهرج عنّا . ويقول :

« الذين لم يفهموا معذورون

والذين فهموا أصابهم الذعر الثقافي » .

بدور : الذعر الثقافي ؟

المهرج : ذعر الانسان المثقف من أعباء ثقافته .

لقد تفتى هذا المرض في الشرق حتى أذاقنا الانقسام والموت  
 الزؤام .

ذعر الانسان المثقف من علمه بأنه إنسان .

فيعروه الخوف من الناس الآخرين أن يكتشفوا أنه ليس  
 دابة .

فيدب على أربع إمعاناً في صون السر

صوت من القاعة : على رسلك ، يا ابن غمرة !

تكتك - تكتك !

المهرج : اطمئنتوا ، أيها المثقفون .

لن أكشف سركم .

لن أعرض حياتكم للامتحان الأخير الذي امتحن به فيلسوف  
 المعرفة :

اطمئنتوا يا أحفاد جاليليو وأبي الطيب وأبي محفوظ .

أصبح الصبر في شرقنا ديناً .  
وهذا هو دينكم عليّ .  
اصبروا !

اصبروا حتى تمر هذه الغمامة .  
سحابة صيف !

اصبروا حتى الصيف القادم  
ستتركم سحابة صيف أخرى .  
فحتى الصيف الذي بعده  
وبعده . وبعده . وبعده .

الصوت : تكتك ! تكتك !

بدور : أكلته التكتكة

المهرج : اطمثنوا يا أولادي .

تكتكنا وسنظل تكتك حتى تقوم الساعة !  
ها أنا أنكبّ على وجهي وأدب على أربع ، تكتكة  
حتى تطمثنوا إليّ ..

وإذا به يهبط على أربع ثم يجبو على أربع . وهو يهز مقدمته ومؤخرته فنسمع  
أصوات الأجراس والخوافر . تلك ترن وهذه تخرخش .

وفيما نكون مبهورين بهذا التغير المفاجيء في وضع المهرج ، إذا بجريدة من  
الوطاويط - آدميين في أسبال سوداء وقد تقنعوا برؤوس وطواطية ، فيندفعون  
نحو المهرج وهم يصيتون : « وط . وط . يوط . يوط » . ويتكالبون عليه .  
يمتطون ظهره ويشدون أذنيه ويوقعونه أرضاً .

وتحاول بدور أن تفرقهم عنه . وتكون ، في هذه الأثناء ، تصرخ وتولول :

« الوطاويط ! الوطاويط !

ألا تعرف الوطاويط حدوداً ؟

ألا تفتح الحدود إلا للوطاويط ؟ !

الوطاويط ! الوطاويط !  
لعن الله التكتكة ! »

فيستعيد المهرج رباطة جأشه . فينتفض منتصباً على قدميه ، مبعثراً  
الوطاويط من كل جانب كأنه جوليفر في بلاد الأقرام . . ونسمعه يصرخ من  
سويداء قلبه :

« قامت الساعة ! أنا الساعة !  
أضيئوا الحقيقة !  
اشعلوا الانسان !  
أطلقوا السجينة !  
انطلقوا !  
الجدع جدع  
والجبان جبان »

وتسلط علينا مصابيح كشافة ترسل أضواءها الساطعة على أشباح عفريتية .  
فتكبر الأشباح وتكبر حتى تتلاشى .

ويكون المهرج يعني « الجدع جدع والجبان جبان » ونحن نصحبه في نشيده  
منشدين ومصفيين : النشيد على إيقاع التصفيق والتصفيق على إيقاع النشيد .

« الجدع جدع  
والجبان جبان »

فتختفي الوطاويط .

- ٤ -

## ستة عشر لوليساً ولويس عوض

ويشرع المهرج في نفص التراب عن ثيابه . ويجمع ما تناثر على الأرض من  
متاعه . ويسوي هندامه . ونحن في عجب من حاله : هل هو الجبان أم هو  
الجدع ؟

ونحن ؟

فلا يتركنا مذبذبين بين ذلك طويلاً . بل نراه يكف ، فجأة ، عمّا شرع  
فيه . ويجلس على مقعد الصندوق فجأة . ويأخذ فجأة في البكاء المسموع بلا  
تخرج منا أو استحياء .

فتهمّ بدور به وهي مهمومة . وتجلس في محاذاته . وتطوقه بذراعها وهي  
تحاول أن تسري عنه . ونسمعها تلح عليه بالسؤال :

« تبكي ، يا حنين الصبا ؟

تبكي - يا أمل ؟

حتى حين أكرهوك على الركوع ، لم تركع إلا زحفاً نحو الأسلاك  
الشائكة لتخترقها .



رأينا خيالك متصبأ .  
 كانت له عينان شاخصتان .  
 تبحشان عنا في عتاب .  
 تبحشان في أمل .  
 جذور موعلة في التربة .  
 شجرة طيبة .  
 أصلها ثابت وفرعها في السماء .  
 جذلة سليل أورقت وبسقت تحديأ .  
 وحين دفعونا من الخلف ، لنقع على وجوهنا ، سمرنا خيالك الفارع  
 وأخجلنا :

عيب يا بدر ! عيب يا بدرية !  
 والآن ، الآن ، ما يبكيك يا حنين الصبا ؟  
 الوطاويط ؟  
 الزمن المضيع ؟ «

### فيجيها المهرج :

« أبكي على الأعمار المضيعة .  
 أبكي على حالي .  
 أبكي على الثكلى . أبكي على الأرملة .  
 أبكي على بدر ، يا بدور » .  
 بدور : بدر جدع . بدر ابن أبيه .  
 بدر ابنك .  
 بدر لم تفترسه الوطاويط  
 المهرج : الوطاويط لا تفترس بدرأ .  
 مضت إلى غير رجعة أيام الحوت الذي كان يلتهم البدر .  
 لم يتركوا البدر مكاناً يتذبذب فيه ويتكتك .  
 بدر غير مخير

بدور : بدر فارس . بدر اختار الشهادة .  
 المهرج : فإذا لم يخترها ، هل يعيش ؟  
 بدور : أين يعيش ؟ كيف يعيش ؟

وإذا بالمهرج ينتفض واقفاً ويأخذ في الصراخ كمن به مس :

« تَبَّأْ لَكَ يَا أَبَا الطَّيِّبِ !

يَا دَجَّالَ نَبِيِّ الدَّجَالِينَ .

يَا قَرْمَطِيَّ مَرْتَدَ ، مَارِقَ . مِيكَافِيلِي !

قال :

الرأي	قبل	شجاعة	الشجعان
هُوَ	أول	وهي	المحل
			الثاني

طنز ...

طنز كبيرة ولو مرة واحدة في العمر !

طنز حقيقية بلا تشخيص .

بلا تشخيص ؟

يا لله ... بلا تشخيص في تشخيص .

تكتك ..

بدور ! بدور ! .. «

بدور : سلامتك يا ابن عمي

المهرج : متى تكون شخص ومتى نطلق على سجينتنا ؟

بدور : اعتصم بالصبر ، يا ابن عمي

المهرج : بدور !

متى كانت عصمتنا في أيدينا ؟

بدور : ستكون يا ابن عمي .

المهرج : بدور !

أتعلمين لماذا أحجم أجدادنا عن تعاطي الفن المسرحي ؟

عن التشخيص ؟

بدور : قالوا أصحاب الدين - يا ربي - الدين .

المهرج : بل لأنهم ارتدوا ثياب المسرح طول حياتهم .  
عاشوا مشخصين .

ظهروا أمام السادة بأقنعة التشخيص .  
فبأي شكل يظهرون على المسرح ؟

بدور : ستربتيز . عرارة !

المهرج : حين عروهم تفرمطوا ، يا بدور .  
عاشوا عرارة .

قلبوا الأرض عرارة .

قبلوا جراحهم العارية .

غطسوا وراء اللؤلؤ عرارة .

ناموا عرارة إلا من أحلامهم .

ثاروا عرارة إلا من هاماتهم .

أكلوا الصخر العساري .

ولكنهم حافظوا على قاماتهم منتصبية .  
هاماتهم شاذجة .

ناساً . بشرأ - بني آدم !

صلبوا منتصبى القامة ، عرارة .

منتصبى القامة ، عرارة .

عالين !

فاعترى الصالين الفزع . فملأوا الوديان بالصلبان ورؤوس  
الجبال .

حتى إذا جاء الصليبيون بالصليب وجدوا هذه النبتة  
أصبحت حرة في بلادنا .

برية في بلادنا .

عليقاً متشراً في الجبال والوديان .

عراقيل أمام تقدم الدبابات .

أسلاك شائكة مكهربة .  
 أحراش كثيفة تحتضن الشوار  
 تستر الشوار  
 غابيات من الهامات .  
 ففرقوا في وادي الصليب . غرقوا في وادي الصليب .  
 خفف الوطأ وتنفس الصعداء !  
 الأرض أضرحة  
 والهواء أضرحة .  
 أضرحة لا تُنبش  
 النسمة آثارنا . فتنفس الصعداء .  
 شهيق . زفير .  
 شهيق زفير .  
 أولئك آبائي . أجدادي .  
 علو في الحياة وفي الممات .  
 لا احدى المعجزات ولا معجزة .  
 لا اختيسار !  
 جئنا بشراً ونمضي بشراً .  
 لم نخسیر .  
 وإذا خيرنا ، هل نختار ، أن نولد خنازير ؟ !  
 بدور : خذني معك . أعود إليك .  
 لسن أتركك .  
 خذني معك !  
 المهرج : إلا ذلك القرمطي المرتد .  
 المارق . الجبان . المدلل !  
 قال : الرأي قبل شجاعة الشجعان ،  
 فإذا هما اجتماعاً بنفس حرة  
 بلغت من الدنيا أعز مكان ..

طز ... !

وطلاب أي مكان ، مكان تحت الشمس ؟  
نفوس حرة لا يجتمع بها سوى القهر والغربة ، الغربة في كل  
مكان !

هنود القرن العشرين الحمر

يا لذوي القربى !

إلى أين يرتدون ؟

بدور : « طلع بدر .. »

أورق بدر ..

اكتمل بدر .. »

المهرج : إلى أين ترتد الكثرة المسحوقة ؟

كيف تتكتك ؟

حتى اللبوات الأسيرة في الشرك تتكتك .

توفر لحم مدر بها فيطعمها جيفة .

أما لبواتنا الحبيسة فلا مكان لها حتى ولا في الشرك !

يا لذوي القربى وأبناء عمهم ! .

هل أبقوا لها من طعام سوى لحومهم ؟

إلى أين ترتد الكثرة المسحوقة ؟

بدور : وا بدراه ! يا ولداه !

قم بدر .

اطلع بدراناً

انطق صخرأ

حرك ضميراً

أتسمعه يا نجيب محفوظ ؟

يا مرتد إلى أرذل العمر ،

إلى ما بين القصرين ؟

**المهرج :** إلى أين يرتد الذين إما أن يعيشوا وإما أن لا يعيشوا ؟

**بدور :** غرد بدر .

اطلع بديراً .

انطق صخراً .

حرك ضميراً .

أسمعه يا توفيق الحكيم ؟

أيها العصفور المقعد في مزبلة شرقية .

**المهرج :** « إلى أين ؟ إلى أين ؟

**بدور :** « إزار بدر .

اطلع بديراً .

انطق صخراً .

حرك ضميراً .

أسمعه يا لوليس عوض ؟ يا فيلسوف الخوف ؟

ماذا تقول ؟

**صوت :** أقول : إن نجيب محفوظ خائف . وهذا ليس رأيه .

ولكنه كتوفيق الحكيم ، يحمي نفسه من عدوان الدولة كي

ينحنا فناً جميلاً\*

**بدور :** طبقات من الزهور الاصطناعية

فوق أضرحة من الرخام .

إن ضريح بدر دائم الخضرة .

**المهرج :** والمسحوقون ! الكثرة .

كيف يتقدم الخوف ؟

الفنانون الذين يمنحوننا المسكن ، يشيدونه حجراً حجراً ،

ويحطبون الصخر ،

الفنانون الذين يمنحوننا الغذاء

ويجمعون .

ينحوننا الكساء

ويعرون !

ماذا يتفهم الخوف من عدوان الدولة ؟

بدور : ألم يكفك ، يا لويس ، ستة عشر لويساً ؟

المهرج : مسلوب اللقمة ، الجائع ،

يرى أطفاله يموتون جوعاً . .

' يمضي الوقت بين الرأي والشجاعة حتى يموت الطفل

الأول ؟

أو ينتظر حتى يموت الطفل الثاني ؟

أو ينتظر حتى يموت الطفل الثالث ؟

أو ينتظر حتى يموتوا جميعاً ؟ !

بدور : الفن جميل . . (وتلفظها بالميم المصرية) .

المهرج : ومسلوب الأرض والوطن !

هل يقعد في الفسحة بين الرأي والشجاعة حتى تضع الحرب

الصليبية أوزارها ،

ويستيقظ الضمير ؟ !

بدور : خازوق . خازوق .

المهرج : والمحمول على الأسنة إلى الأرجوحة !

على بساط أرجواني يتأرجح بين الرأي والشجاعة ؟

إلى أين يتراجع ؟

إلى أين ؟ إلى أين ؟

- 5 -

## بدر ! ... كلهم ولدي بدر !

وإذا بموسيقا كنيسية غيبية تندفع مثل موجة هادرة حتى تفرقنا في بحر من الغيبوبة . موجة تعطرت برائحة البخور . ويكونون قد أحرقوه فتضوعت رائحته المغيِّبة .

وإذا بحبال تدلى من سقف المسرح . كل حبل وفي نهايته أنشودة . وهي أشبه بحبال المشانق .

وتهرع بدور إلى المهرج وهي مشفقة عليه . ونسمعها تهمس في أذنه حتى نسمعها :

« حبال المشانق؟ حبال المشانق؟

هناك !

وهنا أيضاً ؟ ! »

المهرج : رموز ، يا بدور . مجرد رموز .  
تعدد الأسباب والموت واحد .  
حيرني أمري .  
فأي الرموز أختار ؟  
بدور : المقصلة !



- المهرج : الشرق شرق والغرب غرب  
ولم نبلغ ، بعد ، هذا الشأو في المدينة  
بدور : الصَّلب !  
المهرج : منذ افغانستان أصبحت حروبهم هلالية !  
حيرني أمرهم .  
بدور : الخازوق !  
المهرج : لم يعد الخازوق رمزاً ، يا بدور .  
أصبح الخازوق حياتنا اليومية .  
بدور : والبلطة ؟  
المهرج : تتنافى والمدنية ..  
والضمير الأعمى .  
موت مكشوف !  
ولكنهم لا يتعاطون الموت المكشوف  
بدور : فكيف تقتلون ؟  
المهرج : اختناقاً ..  
ملايين العنكب تنسج خيوطها حول رقابنا وأفواهنا وأنوفنا .  
يصبح التمطي تهديماً .  
والتنفس استهانة بجمعيات الرفق بالحيوان .  
تلتهمنا الأكاذيب . تفري لحومنا عن عظامنا .  
وأما الصحف الحرة فتسلق هذه العظام حساء .  
وحين تكون الدبابة في حالة الدفاع عن نفسها من حصا  
الأطفال ..  
نقتل رميةً بالرصاص !  
وقُتلنا ، أيضاً ، لمجرد سوء فهم ..  
بدور : حسبتهم ألغوا عقوبة الإعدام .  
رجالكم الانسانيين - الواحة !  
المهرج : وجدوها تثقل على ضمير المحكمة .

اغمضوا عيني الضمير ونفذوها خارج القاعة .  
حتى يظل ضمير القاتل نقياً .  
القاتل ذو الضمير النقي !!  
أرقى مستحدثات المدنية في القرن العشرين .  
أرقى من الخيوط الاصطناعية ومن البلاستيك ومن  
الكمبيوتر .

روبوث ! روبوث !

بدور : ولكنهم يقتلوننا ..

المهرج : خارج القاعة ..

إن لهم في أرضكم الواسعة متسعاً لهذا الأمر .  
النهر طويل . والكماثن على الجانبين .  
أقبية السجن معتمة .  
والسجان دولة .  
السجان بروفسور .  
السجان مقتنع .  
السجان مرتاح الضمير .  
الرصاصات الطائشة تصيب أهدافها .  
فيحشدون لجان التحقيق .  
ويعتذرون ..

يظل الضمير البلاستيك نقياً .

يحنو على أطفاله

ويحمل إلى زوجته طاقة زهور .

ويتذوق الموسيقى .

ويناقشك في السبرنتيك

ويدافع عن بيكوفسكي .

أنزلوها عن ضمير أوروبا ، يا بدور .

وأنزلوها بكم بقانون غير مكتوب ، بقانون محفوظ على ظهر قلب ،

اسمه الحرب هي الحرب !

بدر : حرب ؟ !

فتنتلق أصوات جوقة من الصبايا . صرخات حادة كأنها أصوات العروس والأخوات يزغردن ، معاً ، لعودة الفارس قتيلاً :

« احصدوهم !

احصدوهم !

احصدوا ! »

ويأتينا صوت المهرج وهو ينادي :

« عبد الله بن عبد الله ، أبا عبد الله !

يا عبد الله ! » .

فيقبل عليه شاب في ربيع العمر ، مشرق الوجه إشراقه فجر ربيعي على صخور شاطيء في بلادنا . ويبدو عارياً إلا من ثوب مزند أحمر خفيف الحمرة ، ضيق حتى يلتصق بجسمه يشدُّ على تقاطيعه ومفاصله وكأنه عار وقد ولد بهذا الثوب أو أنهم أهملوا غسله في ساعة الميلاد أو أنه قد ولد من جديد ويكون الشاب يهتف :

« لبيك ، يا عمه . لبيك . لبيك » .

المهرج : أقبلت ، يا بني ، وأقبلت ساعة الحقيقة .

فتصرخ بدر :

« بدر ؟ ! بدراه ! ولدي بدر ! »

المهرج : كلهم بدر ، يا بدر ..

بدر : ولدي ..

المهرج : كلهم أولادك يا بدر .

تعالى نخلي له الساحة .

دعيه يتكلم ، هو نفسه !

تكلم بدر !

الشاب : ليك ، يا عماء . ليك . ليك .

فيلتقط المهرج صنجيه . ويصفق بهما ثلاثاً وينادي :

« اطفى النور . اطفى النور .

الدور ، الآن ، على مسرور .

السيف مسرور ! »

فيعم الظلام . فنسمع ضحكاً ، أشبه بهدير الإبل ، وجلبة . ويأتينا

صوت المهرج وهو يقول :

« مسرور السيف جداً . مسرور جداً ! » .

وتتسلل ، من كوة في طرف المسرح ، حزمة ضوء فتنجلي الجلبة عن رجل

سيف بسيفه المشرع . ولولا سيفه والنطع الذي يحمله في اليد الأخرى ما كان

من الممكن أن نعرف هذه المهنة التي يمتنها . خصوصاً وأنا كنا علمنا أن

مسروراً الأسطوري منهمك الآن في تعشيب الرياض .

فلباسه لا يطابق دوره في شيء : لباس السهرة الأوربي الرسمي الأسود

وقبعة سوداء مربعة الأطراف يعتمرها فوق رأسه . وأما الخذاء فأسود شديد

اللمعان . إن هذا السيف - يال للروعة - خريج جامعي ولا يفوتنا ، بالطبع ،

هذا التخريج .

ويكون السيف ، الخريج الجامعي ، يلاعب سيفه ويفرش على الأرض ،

باليد الأخرى ، النطع المخضب بالدماء .

كيف يكون النطع ؟

هل فرشوه فوق شمس الرياض ؟

سمعنا عن العباءة التي أرادوا أن يخفوا بها عين الشمس . ورأينا ، على الشاشتين ، بساط الريح والبساط الأحمر الذي يفرشونه تحت أقدام ملوك وأمراء وشيوخ ورؤساء . وفي بيوتنا تعشينا على الحصير ونمنا على الحصير . والنفس الحرة ، كما تعلمون ، تنام على البرش ولا تتأرجح إلا على الأرجوحة الحمراء . وذلك لأنها لم تخلق لكي تمنحنا « الفن الجميل » . خلقت ، يا للهول ، لمجرد أن تعيش !

فأياً منها اختاروا نطعاً مخضباً بالدماء : العباءة التي لم تخف عين الشمس ، بساط الريح ، البساط الأحمر ، الحصير أو البرش ؟

لا هذا ولا ذاك مما ذكرنا . بل اختاروا ، نطعاً ، خرقة قديمة بالية وهلّة ، خرقة من الخيش ، اخترقتها فتحات الزمن في وسطها وفي أطرافها . خرقة حمراء متراكمة الحمرة ، طبقات طبقات . ولولا أنها ترمز إلى النطع لحسبنا أنها خرقة ممسحة أحضرها أحدهم من بيت جدته .

على رسلكم ! لماذا سموا الجدة جدة ؟ لأنها تظل تمسح ، بالممسحة ، الأرض والجدران ومتاع البيت حتى تعود إلى البيت جدته ؟ فلماذا ، إذا كان هذا التأويل صحيحاً ، لم يسموا الزوجة جدة وال بنت والعمة والأرمل ؟

مالنا !

أما السيّاف ، السموكن ، فبعد أن يكون قد نحر المهرج وبدوراً فانتحيا مكاناً قصياً ، نراه يفرش النطع الخرقة بينه وبين الشاب الربيعي حتى يقفا عليه وجهاً لوجه .

ويجري بينهما هذا الحوار :

السيّاف : اسمك ؟

الشاب : ربيع .

- السِّيَاف : اسمك الذي ولدت به ؟
- الشاب : ولدت بلا اسم
- السِّيَاف : اسمك الحركي ؟
- الشاب : شعب
- السِّيَاف : اسمك كلب !
- الشاب : حق التسمية للوالدين .
- السِّيَاف : أنت كلب !
- الشاب : لم اختر هويتي .
- وإذا اخترتها ما غيّرت .
- السِّيَاف : إمشِ على أربع يا كلب !
- الشاب : لم تعودني أمي .
- السِّيَاف : اعو عواء الكلب !
- الشاب : حتى ولا الأنين !
- السِّيَاف : تلوح عليك إمارات العلم
- الشاب : لا أجهلك .
- السِّيَاف : وأنا عالم
- الشاب : ما أجهلك !
- السِّيَاف : بيدي أن أركعك
- الشاب : أقوم وأقف .
- السِّيَاف : سأوجعك . اقتلع أظافرك .
- الشاب : قد فعلت ..
- السِّيَاف : الرأي يا بني ..
- الشاب : لست ابنك .
- السِّيَاف : الرأي قبل شجاعة الشجعان .
- الشاب : الشجاعة رأبي .
- السِّيَاف : صغير أنت . لم تدمن ، بعد ، على لذة الحياة يا ربيع .
- الشاب : ولا على المذلة .

- السيف : لتفاوض .  
 الشاب : النطع ليس للمفاوضة . سيف ومسيّف .  
 السيف : هل من بديل ؟  
 الشاب : اطو النطع واغمد السيف !  
 السيف : وسيفي ؟  
 الشاب : نصكه محراثاً .  
 السيف : ودبابتي ؟  
 الشاب : نرجعها تركتوراً  
 السيف : وطاثرتي ؟  
 الشاب : نرش بها المبيدات .  
 السيف : وأمريكسي ؟  
 الشاب : ننكحه سوية .  
 السيف : شيوعي !  
 الشاب : كيف استعدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً\* !  
 السيف : شيخي !  
 الشاب : عجبت لمن لا يجد القوت في بيته كيف لا يخرج إلى الناس شاهراً سيفه !\*  
 السيف : عميل !  
 الشاب : عامل !  
 السيف : موسكو !  
 الشاب : لم نعد لوحدا  
 السيف : ألا تحب الحياة ؟  
 الشاب : حتى الموت !  
 السيف : ما أهون الموت عليكم !

- الشباب : ما أهون القتل عليك !  
 السيف : مخرب !  
 الشاب : أحب أمي وأحب حبيبي وأحب الشعر .  
 السيف : ورثت النقمة !  
 الشاب : ورثت رائحة البحر  
 السيف : غيره ؟  
 الشاب : وحكايات أبي .  
 السيف : مخرب ! ماذا تريد ؟  
 الشاب : أتوق إلى الطمأنينة .  
 السيف : غيره ؟  
 الشاب : وحديقة  
 السيف : وغيره ؟  
 الشاب : والنوم على هدير المروج  
 وزخ المطر  
 لا على زخ القنابل  
 السيف : مخرب ! ماذا يعيش في رأسك المحموم ؟  
 الشاب : أن أعيش في وطني .  
 أن أكون كغيري من خلق الله .  
 أن لا يقولوا عني : غريب ،  
 مشرد ، لاجيء .  
 أن لا أتسلل إلى وطني  
 السيف : لا تسلل !  
 الشاب : جئت كي لا أتسلل !  
 السيف : أنت تكرهنا !



- الشاب : أنت تكرهنا !  
 السياف : يتعاضم كرهكم إيانا !  
 الشاب : يتعاضم كرهك إيانا !  
 السياف : يا قاتل الأطفال . منتقم !  
 ألم يكن والدك من كفر قاسم ؟  
 بدور : جريمة ؟  
 السياف : فمن دير ياسين ؟  
 بدور : جريمة ؟  
 السياف : فمن الرملية ، من اللد ، من يافا .  
 من صفد ، من عيلبون ، من عيلوط  
 بدور : عدّ ! عدّ ! .  
 السياف : كثير ! كثير !  
 إما هو أو والده !  
 إن لم يكن والدك فجدك . فعمك فابن عمك ! أحدهم !  
 أحدهم !  
 ريفانج ! ريفانج ! ريفانجست !  
 لو كنا مكانكم ..  
 الشاب : لن نكون مكانك مهما يحدث من أمر .  
 السياف : أترضى عن قتل الأطفال ؟  
 الشاب : أنا الطفل القليل ..  
 السياف : وأطفالنا ؟  
 الشاب : وأطفالكم .  
 السياف : أيها القتلة ..  
 الشاب : أقتل القليل مرة ثانية ؟ !  
 فينفجر السياف في قهقهة كأنها القرع على صفائح فارغة . ويكون يردد ،  
 بين القهقهة وأختها :  
 « بتياستكم ! بتياستكم ! .. »

## مأدبة شواء

وتتناسخ القهقهة مع أصوات صادرة عن قرع طبول ، أشبه بالرعد في آذار . ثم تنشق السماء عن بريق يعشى الأبصار فنرى المشخصين يتقونه بأكفهم على عيونهم استكفافاً . ويهتف هاتف في مكبرات الصوت أن :  
« غضوا أبصاركم ، يا أهل الموقف ، حتى يعبر الهول الأكبر ! »  
فيفعلون .

أما السيّاف فيسجد للسيّف أمامه . وأما المسيف والمهرج وبدور فيتحاضنون ورؤوسهم خاشعة .  
ويعقب البرق ظلام أشد سواداً من حنك الغراب .  
فيسود صمت حتى لا نسمع سوى صوت الصمت . ويعم ظلام حتى لا نرى سوى أخيلة الموت .

وإذا بصوت خبطة على المسرح تصدر عن ارتطام جسم انسان يلقي على الأرض من عل . نسمع ونفهم ولكن لا نراه . فخبطة ثانية . فثالثة . وما ان نحصي ثلاثاً حتى يأتينا صوت الخبطة الرابعة . فلا تختلف في شيء عن أخواتها ، لا في صوت ولا في موت .

ويفج النور السماوي .

فترى ، والدهشة تغقد ألسنتنا ، أربعة شبان متساوي الأعمار ومتشابهي الخلقه والخلقان . وتكون هذه ثياباً بيضاء . مرسله تحرقت أطرافها واكتست بالسخام . ونرى فوق كتفي الشاب منهم جناحي ملك . وتكون أطراف الجناح ، أيضاً ، قد تحرقت واكتست بالسخام .

وينشغل ثلاثة من الملائكة - وهم المتقدمون في الارتطام - في نفض السخام عن أثوابهم البيضاء وفي تمكين الأجنحة من أكتافهم . ونعلم ، فيما بعد ، أن أسماءهم هي ، بحسب الأولوية في الارتطام : سعدي أبو شارب وسعيد أبو شاريين وسعادة شارب الدم .

وأما رابعهم ، ونعلم فيما بعد أن اسمه سعادية قلب الأسد ، فيكون يحمل سفوداً وينادي :

« ساسليك ! ساسليك ! »

أبو شاريين : كيف لحق هذا بنا إلى هنا ؟

أبو شارب : احرقوه معنا خطأ .

شارب الدم : أخ . .

أبو شاريين : يكونون أحرقوه تديباً حتى يكون علينا عيناً .

قلب الأسد : ساسليك ! ساسليك !

أبو شارب : على ماذا ينادي ؟

أبو شاريين : شاشليك ! ساسليك بلهجة المغرب .

يبيع شواء . لحمأ مشويأ .

أبو شارب : أشم رائحة شواء ولا أرى لحمأ .

قلب الأسد : ساسليك ! ساسليك !

أبو شارب : ماذا تبيع ، يا أخ ؟

شارب الدم : أخ ؟ . . أخ !

قلب الأسد : أبيع لحمأ مشويأ .

ساسليك ! ساسليك !

أبو شارب : لآمك أم لآمنسا ؟

قلب الأسد : على الأرض ما كنت أبيع سوى لحمي .

وابنتي كانت تبيع لحمها .

هل تشعرون بفرق في الرائحة ؟

ساسليك ! ساسليك !

شارب الدم : أخ ..

أبو شارب : لكنني لا أرى لحمأ !

قلب الأسد : لأننا موجودون ، الآن ، فيما وراء الحياة الدنيا .

روح !

والروح لا ترى بالعين المجردة .

ولحمي روح . روح اللحم .

وكان من الصعب رؤيته ، أيضاً ، على الأرض .

ساسليك ! ساسليك !

أبو شارب : لماذا أآرقوك معنا ؟

شارب الدم : أخ ..

قلب الأسد : كله على العرب قطين ..

أنتم سمر وأنا أسمر .

أنتم للآرق وأنا أآرق

ساسليك ! ساسليك !

أبو شاربين : نحن عائدون ..

شارب الدم : عائد ؟ ! أخ ..

قلب الأسد : وأنا عائد ..

ساسليك ! ساسليك !

أبو شارب : لماذا لم تبقى في مسقط رأسك ؟

شارب الدم : يبقى ؟ ! أخ ..

قلب الأسد : طردني العرب .

- أبو شاربين : ونحن طردنا العرب ..  
 قلب الأسد : ساسليك . ساسليك .  
 شارب الدم : طردوكم ؟ ! أخ ..  
 أبو شارب : اهلك قتلونا ..  
 قلب الأسد : وأنا أيضاً ..  
 ساسليك . ساسليك .  
 شارب الدم : أخ ..  
 أبو شاربين : أهلنا لا يقتلون سوانا .  
 قلب الأسد : وأنا أيضاً ..  
 ساسليك . ساسليك .  
 شارب الدم : لا يقتلون سواكم ؟ ! أخ ..  
 أبو شاربين : ما اسمك ؟  
 قلب الأسد : سعادينة .  
 أبو شارب : وأنا سعدي .  
 أبو شاربين : وأنا سعيد  
 شارب الدم : أخ .. !  
 قلب الأسد : تشرفنا يا أخ .  
 ساسليك ؟  
 شارب الدم : أخ ؟  
 أخ !  
 أبو شاربين : كفى أخأخة يا سعادة  
 شارب الدم : أقتله ويسميني أخ ؟ !  
 وقاحة ! إهانة . قال : أخ !  
 أخ .. !  
 فتعرو والدهشة سحابة وجه سعادينة قلب الأسد .  
 أبو شارب : أنت قتلته ، يا سعادة ؟

يا قتيل ابن القتييل ؟  
 حتى في الدار الآخرة تزيد علينا ؟  
 طيب ! إذن أنا قتله !  
 أبو شارين : عيني يا عيني ! وأنا ؟  
 إذا كنت أنت قتله مرة فأنا قتله مرتين !  
 شارب الدم : ثلاثاً ! قتله ثلاثاً !  
 بالطلاق بالثلاثة !

وإذا بغمامة الدهشة تعبر عن وجه سعادية ، عبور غمامة صيف . ويصحو  
 وجهه على إمارات الحكمة فيضع سبابته على صدفه في حركة أرخميدسية  
 أصيلة ، نحاول ، نحن الجالسين تحت - أي في القاعة - أن نحاكبه فيها فلا  
 تزيد غباءنا إلا غباوة . فنتكتف صابرين فيما يكون اقتتال الاخوة مستعر  
 الأوار .

وإذا بسعادية يصرخ :

« القتلة ! القتلة !

أغثوني يا أهل الموقف !

قتلتنى القتلة ! »

فتقبل جارية من خدم الجنان تهزول منزعجة وفي يدها مكنسة منفضة  
 تلوح بها .

الجارية : أسمع عياطاً وأرى مياطاً .

ألا تعلمون أن اليوم عطلة ؟ !

الجميع : عطلة ؟ !

الجارية : عيد ميلاد سيدنا إبراهيم عليه السلام .

قلب الأسد : جسدي إبراهيم !

شارب الدم : بل جدنا إبراهيم !

وأبو شارب

أبو شاربين : أخ .. !

قلب الأسد : جلدي ..

أبو شارب : جد جلدي ..

شارب الدم : جد جد جلدي ..

أبو شاربين : أخ .. !

الجارية : هوب .. كفى !

وأنت ! ماذا يؤخثحك ؟

أبو شاربين : بلغم . بلغم . برم . برم . بق . بق . بضم . بغم .

غم . غم . غو . غو .

الجارية : الله يبعث .. ارجع غدا .

غداً . يا لله ..

قلب الأسد : البركة فيك ، يا ست الحسن .

فاقضي بيننا يا حلو ..

فتضحك الجارية وتختال دلالاً .

الجارية : يا حلو ..

أبو شارب : أنا أحلى ..

أبو شاربين : يميين !

شارب الدم : قومية المعركة !

ويتكشف سعادة وهو مشمئز .

الجارية : معارك ؟ في الدار الآخرة ؟

وحوش !

قلب الأسد : أقضي بيننا ، يا حلو !

الجارية : سلموا سلاحكم الأبيض ، أولاً .

ثم أقضي بينكم .

اخلع ! اخلع ! اخلع !

أبو شارب : نخلع ؟

الجارية : سراويلكم !

اخلع ! اخلع !

فيخلع سعدي أبو شارب سرواله . ويلتفت إلى صاحبه ويقول :

أبو شارب : احتطت للأمر فاتزرت بسروالين .

الجارية : وأنت ! اخلع ! اخلع !

فيخلع سعيد أبو شاربين سرواله ويلتفت إلى صاحبيه ويقول :

أبو شاربين : احتط للأمر . فاتزرت بثلاثة سراويل !

الجارية : وأنت ! اخلع !

ولكن سعادة شارب الدم يظل متكثفاً ومتعالياً .

الجارية : اخلع ! اخلع !

شارب الدم : لن أخلع !

الجارية : اخلع أو أخلعه بيدي لا بيدك يا عمرو !

شارب الدم : أي شيء أخلع ؟

الجارية : سروالك يا أخ . .

شارب الدم : السروال المخلوع لا يخلع .

تحتي عاركما خلقنسي ربي .

لا يوجد تحت هذا اللباس أي لباس .

وسروالي محفوظ في البيت بالفتالين .

فيغشى على الجارية من شدة الضحك .

الجارية : هل أرى ؟

أسمح لي أن أتمسك ؟

أسبر قعرك ؟



وتهم الجارية به وهي تدغدغه . فيفلت منها وهو يهمس :

« بالسري يا أورو .. »

خفيةً عن أعين الرقباء ..

بالسري يا أمَّ أمَّ ! »

وتراوده الجارية وهي تصوب مكنستها نحو مؤخرته . فيفر من أمامها .  
فيدوران في دائرة نصف قطرها عصا المكنسة وذراع الجارية ، بالحد الأدنى .  
وتلف وتدور . وهكذا دواليك وإلى آخره حتى يبدو الإعياء على وجه  
الجارية . فتعود إلى سعادة قلب الأسد ويكون يسفد بسفوده .

الجارية : ما هذا ، يا حلو؟

قلب الأسد : سفود

الجارية : سلاح ؟

قلب الأسد : ولكنه يختلف عن السراويل بأنه غير عدواني . أذافع  
به عن نفسي .

الجارية : دفاعي ، يا حلو؟

قلب الأسد : أشوي به لحماً وأقتات به .

ولنا فيه ، أنت وأنا ، مآرب أخرى .

ساسليك ، يا حلو؟

الجارية : هات

قلب الأسد : هات

الجارية : هات ؟

قلب الأسد : هات وخذ ، يا حلو . خذ وهات .

الجارية : طيب . هات .

قلب الأسد : هات حكماً ، يا حلو .

أقضي بيتنا .

الجارية : تكرم عينك .

فتقلب الجارية عصا مكنستها على قفاها . أي على قفا العصا . وتضم ما بين حاجبيها ملقبة الهيبة . وتفرج ما بين رجليها مفتحجة للقضاء بينهم .

الجارية : اسمك ؟

أبو شارب : سعدي أبو شارب

الجارية : أبو شارب ؟

أبو شارب : الاسم الحركي .

الجارية : ليش ؟

أبو شارب : لم تكن شواربنا قد طرت بعد .

فظنوا أننا لا نموت إلا بشلل الأطفال .

فأرسلناها كشفاً لهوية موتنا .

الجارية : فيماذا نموتون ؟

أبو شارب : بالرصاص ..

الجارية : وأنت ، ما اسمك ؟

أبو شاربين : سعيد أبو شاربين .

الجارية : أبو شاربين ؟ الاسم الحركي ؟

أبو شاربين : الاسم الطبقي .

الجارية : ليش ؟

أبو شاربين : قرأوا لنا أنه ، كي نتحد ، علينا أن نبدأ بتحديد نقاط

الاختلاف .

الجارية : بالشوارب ؟

أبو شاربين : لم نجد اختلافات أخرى

الجارية : عفارم ... فهل اتحدثم ؟

أبو شاربين : الحق عليه ..

أبو شارب : بل عليك ..

أبو شاربين : عليك !

أبو شارب : عليك !

وينتقلان من الصراخ إلى المدافعة بالأيدي . فتحول الجارية بينهما وهي تصرخ :

« هوب . ! هوب !  
مشاغبون ! حتى في الحشر تعكرون صفو الموت !  
ثم تتحول نحو ثالثهم .

الجارية : وحضرة الجنباب ؟  
شارب الدم : سعادة شارب الدم !  
الجارية : هو ، هو .. الاسم الحركي ؟  
شارب الدم : لا !  
الجارية : الطبقسي ؟  
شارب الدم : لا !  
الجارية : اذن ؟  
شارب الدم : اسم السترة .. الله يسترک !  
فتستغرق الجارية في الضحك . وتهتم برفع ثوبه عن ساقيه بطرف  
مكنستها . فيشده إلى أسفل وهو يتمتم :

« يسترُ على عرضك » .  
الجارية : هل يستر ؟  
شارب الدم : يستر .. يستر ..  
الجارية : فإذا هتكوا هذا الستر ؟  
شارب الدم : لانعدم أستاراً أخرى !  
غيب الطلب !  
سيده ملائمة !  
الجارية : هات ياسبع !

- شارب الدم : الجليل قبل الجولان !  
 قلب الأسد : حصل ..  
 الجارية : فوق .. فوق !  
 شارب الدم : الجليل كالخليل !  
 قلب الأسد : حصل ...  
 الجارية : دي . دي . دي . دي !  
 شارب الدم : لا نرضى بأقل من استعادة الأندلس !  
 الجارية : عليهم .. !  
 شارب الدم : قومية المعركة !  
 قلب الأسد : يا أماء ..

فتنتبه إلى سعادة قلب الأسد .

- الجارية : وأنت ، يا حلو؟  
 قلب الأسد : وحيد مسكين . حيران ..  
 الجارية : اسمك ؟  
 قلب الأسد : سعادة قلب الأسد .  
 الجارية : قلب الأسد ؟ الاسم الحركي ؟  
 قلب الأسد : لا .  
 الجارية : الطريقي ؟  
 قلب الأسد : لا .  
 الجارية : اسم السترة ، يا حلو؟  
 قلب الأسد : لا .  
 الجارية : اذن ؟  
 قلب الأسد : الاسم القومي ..  
 الجارية : قلب الأسد مرة واحدة ؟  
 من بطن أمك ؟  
 من المغرب ؟

قلب الأسد : لا ، والله ، يا ست الحسن .  
أنا صادق .

اسم عائلتنا الأصلي شلباطو .  
ولكننا نختار ..

أرض الله واسعة !  
أوطان كثير . لغات كثير  
والأخرالوجيا ..

الجارية : أخرا ؟ .. هنا ؟

من ؟ أنت ؟

وفي الدار الآخرة ؟

قلب الأسد : آثار .. علم الآثار ، يا حلسو !

نبش الأرض فنجد .  
انبشوا تجدوا .

الجارية : عمّن تنبشون ؟

قلب الأسد : عن جدودنا .

الجارية : هل وجدتم ؟

قلب الأسد : عظام كثير . جماجم كثير .

أضرحه . مدنية . قديمة . عريقة .

سيف يمانى .

أسوار .

زريبة .

جدودنا .

مخازن عدس ! برغل !

الثلاثة : عدس ؟ برغل ؟

إذن جدودنا !

قلب الاسد : الحقيني ، يا ست الحسن .

ينبشون القبور .

يلاحقونني على الأجداد ..  
العظام ! . الجماجم !  
المدنسة !  
لا يحترمون الأموات !

وإذ بالسما يشقها بريق يغشي على الأبصار . فيتحاشاه سعادية قلب  
الأسد والجارية مدبرين . وأما الثلاثة الآخرون فيجهشون بالبكاء إما عن  
فيض من الأمل وإما عن فيض من الألم .

وفيما يكونون على هذه الحال تتردد في أنحاء الموقف زغاريد صبايا ونسوة .  
وتنطلق آهات . ثم تأتي أصوات أنثوية ضارعة :

صوت فتاة : برأس أمك ، يا خواجه ، تتركنا نعود إلى القرية !  
صوت فتاة ثانية : أبوس يدك ، يا خواجه ، خلني لأطفالي !  
صوت فتاة ثالثة : يخلي لك شبابك تخلي لي شبابي ..

ولكن ، سرعان ما تستعيد الجارية رباطة جأشها . فتستدير نحو النور  
السمائي وتصرخ :

الجارية : هوب ! هوب !  
نظام !  
قلب الأسد : نظام !  
الجارية : اليوم عطلة - عيد !  
الذي فات مات .  
يا لله ..

فلا يلبث النور حتى ينسحب إباء وشمماً واحتجاجاً .

وتعود الجارية إلى سعادية قلب الأسد وهي مرتاحة الضمير .

الجارية : وجدودي ، يا حلو ، هل وجدت لهم أثراً ؟

قلب الأسد : حتى أهرام خوفو !

الجارية : ول ! صحيح ؟

قلب الأسد : طبعاً ! .

الأخرالوجيا أثبتت أننا بنيناها بأيدينا . .

الجارية : جدودكم . فأين جدودنا ؟

قلب الأسد : بسيطة . . نحمل الأمر على محمل الحاضر .

بما أننا نخدمكم الآن ، إذن ، فجدودنا خدموا جدودكم .

إذا كنا نحمل الحاضر على محمل الماضي فلماذا لا نعكسها ؟

كله عظام وجماجم .

ساسليك ، يا حلو ؟

الجارية : بترول ، يا حلو !

قلب الأسد : أيضاً بسيطة .

أرسليني إلى بئر خليجية حتى تختلج الروح في صدري .

فأموت فدا عينيك يا حلو . .

ثم تفعل الأخرالوجيا فعلها .

الجارية : تموت ميتة ثانية ؟ غير ممكن !

قلب الأسد : ممكن ، يا حلو .

فعلتموها ففعلناها .

قتلتنا مدنيتكم .

وغوت في سبيل مدنيتكم .

ليحي وطن الآباء والأجداد .

لتحي العظام والجماجم والبترول !

الجارية : وهؤلاء . ماذا فعلوا ؟

قلب الأسد : قتلوني يا حلو !

الجارية : ولكنهم قتلى هم أنفسهم ؟ !

قلب الأسد : هكذا شبه لي حتى سمعتهم يقتتلون فيما بينهم على أنهم

قاتلي !

أقتليهم !  
 الجارية : أيقتل القتييل مرة ثانية ؟  
 ويصدق أهل السماء هذه الفرية ؟  
 قلب الأسد : صدقوها . من زمان صدقوها .  
 صدقوها حتى وهم في الدار الفانية .  
 سألوهم فأجابوا .  
 هم فعلوها !  
 أسألهم !

فتتحول الجارية إليهم فيتدافعون نحوها للوقوف صفاً واحداً .

وإذا بأصوات أقدام تهرول في مؤخرة المسرح . ونسمع صوت المهرج وهو يصيح : « كفى ! كفى ! » فنهبط ، في طرفة عين ، من السماء إلى الأرض . فتتذكر أننا ما زلنا على هذه الأرض . على هذه الأرض . فيدهمنا قلق الحقيقة .

وتنجلي الجلبة عن المهرج وهو يدفع بصندوقه ويصيح :

« كفى ! كفى !  
 القتييل لا يقتل مرة ثانية !  
 القتييل يتكلم صمتاً .  
 صمتاً لا يمكن اسكاته !  
 صمتاً لا يسبر غوره سوى القاتل !  
 دعوا الأم الثكلي تتكلم ! »

صوت بدور : بدر !

صوت امرأة أخرى : سعادبة !

ويقبل صبية وصبايا يحملون المكانس . ويأخذون في كنس الخشبة أو أرض المسرح . والمهرج يقول :



: عودوا ، يا أولادي ، إلى مقاعدكم .  
 : أنت يا سعدي وسعيد وسعادة .  
 الثلاثة : يقتلوننا بالتسلل !  
 المهرج : تشخيص ، يا أولادي ، تشخيص .  
 عودوا ولا تقتتلوا .

قلب الأسد : وأنا ؟  
 المهرج : مكانك محفوظ ، يا بني .  
 فاحفظ لغيرك غيره !

قلب الأسد : يرسلونني الى الجبهة  
 المهرج : تشخيص ، يا بني ، تشخيص .  
 عد ولا تذهب !

المجارية : وأنا ؟  
 المهرج : وأما أنت فلك الله وعباده !  
 ولولا أنه تشخيص في تشخيص نقايضتك بالأرض السماء  
 مقابل

أن تتركي الأرض لأهلها .  
 ولكن عودي !  
 تشخيص في تشخيص !

ويعضون . يتصدرهم المهرج يتصدره صندوقه . ونسمعه يقول :  
 « موعدنا القريب ، أيها الجمع الحبيب ، في الجلسة الثالثة والأخيرة .  
 فلا بد أن يكون لهذا الأمر نهاية ولو على خشبة المسرح ! »

ونسمعهم جميعاً يهتفون ، وهم يغيبون عن أنظارنا :

« صندوق العجائب . الحاضر يعلم الغائب . الحاضر يعلم الغائب » .

ونظل جالسين في مقاعدنا ويمضي الكناسون في عملهم حتى نراهم يهون

بأن يكنسونا نحن أيضاً . فنصفق ونقف ونتحرك . ونرى فريقاً منا يصفح المشخصين . فنرغب في مجاراتهم إلا أن تواضعنا ، أو نقيضه ، يردنا عن هذا الأمر .

ولا نعدم معلقين يعلقون على ما شاهدوه ، وشامتين ومستائين ويائسين . ولا نكون بينهم لأننا كنا قد عبرنا على ذلك كله .



الجلسة الثالثة والاطيرة

المهرج

« ويسألون الليل عنك  
وهم لعودك  
في انتظار .. »

بدر شاكر السياب

## راح زمان الانتيكا ولكن ...

« من الضروري أن يكون لهذا الأمر نهاية حتى ولو على خشبة

المسرح » ..

حتى على خشبة المسرح سيكون من المثير ، يا قشمر بن غمرة ، أن نرى إلى  
نهاية هذا الأمر .

الاستراحة ، بين الجلسة والجلسة ، حركة وبرّ ونفاذ صبر . حتى  
جارتني ، التي لم تشأ أن تحرك نومة طفلها على يدها ، في أثناء الجلسة ، أراها  
تحركه الآن وترسل يديها الحانيتين وتتنهد بملء صدرها . ويكون لغط الصبيان  
والصبايا تغريد عصافير توقظ فجراً .

هل تعلم ، يا قشمر بن غمرة ، أن العصافير ، في بلاد الجوف النؤوم  
الضحى تغرد في جوف الليل ؟

يكون الليل يتمطى ويتشاءب . ويكون الليل يغط في النوم . وإذا بالعصافير  
تغرد . يشرع في الزقزقة عصفور . يغرد تغريد بلابل . هو بلبل أو كما أتخيل  
تغريد البلبل . ثم يكف منتظراً أن ينجل فجر . فلا ينجل فجر ! فيعود إلى  
تغريده مهيباً بإخوته أن يستيقظوا وأن يعينوه على إيقاظ فجر . فحتى طلّائع

الطبيعة تدرك أن الوحدة ، ولو في قمم النُسور ، لا تبدد وحشة ليل .  
 فيلبي التغريد مغرد . فتنتلق جوقة . وتتفتح أكمام من أغاريد . وتحبى  
 الأعشاش على الفلاح الناس . فيخرج الصنّاع إلى صناعتهم . والشمس لا  
 تشرق في فصل الشتاء هناك . وإذا أشرقت تباطأت ولم تسفر . تحجبها عن  
 العيون غيوم ثلجية وسماء سخية . إلا أن العصفور المغرد لا تنظلي عليه هذه  
 الحيلة . ولا على الصانع ولا على الزارع . فيرون انجلاء العتمة فيما وراء  
 الغيمة . فيغردون . فيؤذن بفجر لا محالة .

ككيف بالفجر في بلادنا ، حيث لا يتوانى الفجر الجديد عن تلبية نداء  
 التغريد ولا تتحجب الشمس ؟ ! فيا خالق ويا خلق ، متى تشرق الشمس في  
 هذا الشرق ؟ !

وما كان يزقزق عصفور في البلاد البعيدة ويصدح فجر على أغصان الغمام  
 حتى أتذكر نومة ضحى ينفرها نور شمس أو عصا جدي - في بلادنا البعيدة -  
 تحت عريشة في حقل من البطيخ والشمام . أو في كروم الدوالي . أو فوق  
 مراتب التتن . وكنا نصدح ، نحن أيضاً ، ونقرقر . وكنا ننتظر نهاية لهذا  
 الأمر - سنة دراسية أخرى .

بلادي ، يا بلادي !

كم زقزقنا لاستدرار فجر . وكم توقعنا طلوع فجر

وما زالت والدة أولادي ، جدة أحفادي ، تعيرني أنني لم أمهرها سوى  
 مهر مؤجل خمس سنين : وعد ، من قبل خمسة وثلاثين عاماً ، بأن انجلاء هذا  
 الليل لن يتأخر . وما هي إلا رمية سنوات خمس حتى يطلع فجرنا فأراودها عن  
 فترة التأجيل . وأدعي أنها عشر سنين لا خمس . فتعاندي وأعاندها حتى  
 تنقضي ليلة أخرى على صداق لم يصدق منذ ثلاثين عاماً .

بلادي ، يا بلادي !

متى ينقضي هذا الأمر ويزول عنا هذا القهر ؟ !

لقد شمس ، في هذه الأثناء ، مهور كثيرة في مشارق الأرض ومغاربها .  
وأخذنا أعراسهم عرساً . ولكن ، أي عريس زفوه إلى الثرى لم نرف مثله ؟  
وأية ثريا بكت عليهم ، نجوماً وكواكب ، لم تبك علينا ؟ فلماذا تناقل ليلنا  
وأدار الفجر لنا ظهره ؟

بلادي ، يا بلادي !

لا تلوموا الضحية !

كيف نلوم الضحية ؟ نحن الضحية !

حتى على خشبة المسرح سيكون من المثير ، يا قشمر بن عمرة ، أن نرى إلى  
نهاية هذا الأمر وإلى طلوع هذا الفجر .

بلادي ، يا بلادي !

وفما نكون على هذه الحالة من النوسطالجيا ، ومن الريب بقدرة الصندوق  
على كشف الغيب ، متأرجحين بين الصداق والصداق والحنين إلى ليالي  
الصيف الملاح ..

.. إذا بالمهرج يقبل علينا وهو يدفع بصندوقه . وتظهر بدور وراءه .  
ويحتشد وراءهما حشد من الصبية والصبايا تقودهم صبية تتمنطق بطلبة  
وتنطقها ، نقرأ ، نغماً رتياً .

ويكون الآخرون يصفقون على النغم وينشدون النشيد :

النشيد : طبل . طبل . مزىكا .

راح زمان الأنتيكا .



اصمد . اصمد . مافىكا .  
 راح زمان الأتيكا .  
 أمهي وطننا يجميك .  
 راح زمان الأتيكا .  
 فتح . فتح عينيك  
 راح زمان الأتيكا .  
 طبل . طبل . مزيكا .  
 راح زمان الأتيكا .

وتجلس بدور على مقعد الصندوق . وتتكتف وامارات نفاذ الصبر بادية على محياها . ويقف المهرج وراءها ، والصندوق بينهما ، يهم بالكلام . إلا أن المنشدين لا يكفون عن انشادهم . ونراهم يطوقون بدوراً والمهرج ، وبينها صندوق العجائب ، في دائرة من الراقصين والراقصات ، المنشدين والمنشدات ، وعلى رأسهم الصبية الطبالة . وتكون الصبية تنقر على طبلتها . ويكونون يرقصون ويدورون في الحلقة مرددين القرار باصرار ، فيما يقومون بحركات استهزائية ، بأصابعهم على أنوفهم أو على آذانهم ، يريدون بها الاستخفاف بدور وبالمهرج وبجيلهما كله .

ويصفق المهرج بصنجه . وأما بدور فتظل على حالها مقيمة .

حتى يضيق المهرج ذرعاً بهم . فيروح ويجيء في وسطهم ويقطع الحلقة عليهم ، عرضاً وعمقاً . فينتحون ، غير متفرقين ، مكاناً قصياً . سوى الصبية الطبالة التي نراها ، على قصر قامتها ولين عودها ، تواجه المهرج وتتحداه . وتنقر على الطبلة وتنشد في عناد :

« راح زمان الأتيكا .

« راح زمان الأتيكا . »

## ثم تجهش في البكاء

فيتلطف المهرج بها . ويجوظها بذراعه ويكفكف دموعها . ويقول ، وعمر السامعين يطول :

المهرج : لا بأس . لا بأس يا صبيّة .

راح زمان الأنتيكا .

ولكن ، ماذا جاء بعده ؟

الجمع : زماننا ..

الطباله : زماننا ..

المهرج : راح زمان الأنتيكا .

يقيننا راح .

ولكن الأنتيكا لم ترح .

راح زمان الأنتيكا

وبقيت الأنتيكا

الطباله : زماننا آخر .

زماننا جديد

المهرج : نحن ، أيضاً ، في صباننا ،

في زماننا ..

أنشدنا هذا النشيد .

وكان زماننا جديداً .

ولكن ، حين كبرنا

أكلتنا الأنتيكا .

أكلتنا التراخوما .

بدور : بدر لا يشيخ !

المهرج : ولا شعب بدر ، يا بدور .

لا يتركونه يشيخ !

أكلتنا الأنتيكا .

أكلتنا التراخوما .

ويأتينا ، من رؤوس جبال بعيدة ، قرع طبل أفريقي . فيرد عليه طبل آخر . فيستجيب للنداء ثالث . فطبول . فغابة من طبول .

وتكفهر سماء . ويعم ظلام سوى ضوء ان ينطلقان من عيني الصندوق . ونسمع جلبة ولا نرى مصدرها . وإذا بالمهرج يصفق بصنجه ثم يقول :

المهرج قم تفرج ، يا سلام ، على عجائب الزمان .

في أعماق افريقية الاستوائية

على شاطئ النهر العظيم ،

في شمالي غانا وفولتا العليا

ومالي ،

حيث تتراوح نسبة العميان بين عشرة وثلاثين بالمئة ،

تهجع قرى

جميع البالغين فيها مصاب

بالعمى .

أكلتهم التراخوما .

والوحيدون ، الذين تبصر عيونهم ،

هم الأطفال .

فإذا شبوا على الطوق وكبروا ،

أكلتهم التراخوما .

ويضاء المسرح . فإذا بيدور على جلستها ، وهي مكثفة لا تريم . ويقف وراءها المهرج وبينهما الصندوق . هذا في زاوية . وأما في الزاوية الأخرى فنرى الصبية والصبايا يفرشون الأرض في حلقة تتوسطها الصبية الطبالة . وتكون الصبية تهمس في اذن هذا الصبي ثم في اذن تلك الصبية . فيهللون

مرة ويصفقون مرات . ويضحكون ويزقزقون ويغردون . ونسمع وشوشتهم كأنها خرير جدول جبلي ، حيناً ، وكأنها حفيف الأشجار في دغيلة أفريقية مغلولة ، أحياناً .

وأما في وسط المسرح فنرى رجالاً ونساء . لهم عيون شاخصة ولكنهم لا يرون بعيونهم . عميان أكلتهم التراخوما . ويكونون يحملون ، فيما بينهم ، جبلاً مرسأً طرفه الأخير في يد شيخ منهم يجلس القرفصاء على مرتبة عالية . ويعتمر هذا الشيخ ، فوق رأسه ، طرطوراً . وتكون سقيفة من نخيل تظللها - الرأس والطرطور . .

ويتقدم الرجال والنساء نحو الشيخ المطرطر ، صفأً واحداً . الواحد وراء الآخر . والهادي إلى الطريق الحبل المرس . ويبدو لنا أنهم تمرسوا على هذا المسلك .

وفي آخر المطاف ، وحين يدرك الواحد منهم طرف الحبل واليد التي تمسك به ، يقبلون هذه اليد ، ثم يقترشون الغبراء على جانبي المرتبة وشيخ المرتبة برأسه وبطرطوره وبالسقيفة التي تظللها .

فتأخذ يد الشيخ ، المطرطر والمسقف ، في طي الحبل ثم في إرساله ثم عد عقده ثم في إرساله . حتى نخاله يسبح بسبحة أو يلاعب أفعى تنساب بين يديه كما تنساب في نخاله .

وتصدر عن الشيخ همهمة :

أحدهم : أعد !

فيعود الشيخ ويهمهم .

آخر : طيب الله الأنفاس !

## فيزمجر الشيخ المطرطر .

- آخر : بالروح ، بالدم .. !  
 الشيخ : أزعمجتنا هذه الصبية الطبالة  
 الجميع : مالها ؟  
 الشيخ : هذا رأس . مش بطيخة !  
 الجميع : تبألسها !  
 الشيخ : بلغت سن الرشد ؟  
 الجميع : بلغ سن الرشد .  
 الشيخ : فمتى تنوب إلى العمى ؟  
 العمى .. !  
 اصوات : أنت عيوننا ..  
 يا عيوننا ..  
 يا عين .. يا عين .  
 لا طرطور غير هذا الطرطور  
 طراطينا نواطينا ..  
 أحدهم : يحى الطرطور ..  
 الجميع : يحى الطرطور !  
 الشيخ : .. الناطور . قولوا : الناطور .  
 إذا أردتم تكريمي فنادوني  
 بالناطور .  
 نحن عيلة واحدة ، يا أولادي .  
 وأنا ناطورها .  
 أما الطرطور فوظيفة .  
 بحسب الدستور . كله بحسب الدستور .  
 أحدهم : بالروح ، بالدم .  
 نفديك يا طرطور !

- الشيخ : قلنا ناطور ، يا ولدي .  
 ناطور . طور .
- أحدهم : بالروح . بالطور  
 نفديك يا ناطور ! .
- الشيخ : وابنة الزانية ،  
 كيف فعلتها الزانية  
 كيف تأخر نموها ؟  
 هذه المعوقة المازقة !
- آخر : سمعنا أنها تستعمل مسحوقاً  
 أحضرته من خارج القرية  
 لمنع العمى
- فيهمهم الجمع . ونسمع أصواتاً تردد :
- أصوات : رجس  
 رجس من الشيطان .  
 جيل وقح  
 مدمن على تعاطي البصر .
- الشيخ : أحضرته من خارج القرية !  
 من خارج العيلة ؟  
 عيب !
- أحدهم : قالت أنه مسحوق  
 البرتقالية
- الشيخ : دكترة البرتقالية ؟  
 أعوذ بالله !  
 وأنا . وطرطوري ؟  
 وأجدادي  
 الشجرة ،

حتى جذور الشجرة  
والديدان في جذور الشجرة !  
نحن فلاحون ، يا أولادي .  
غيط .

من سبعة آلاف سنة والمرسى  
في أيدي أجدادنا .  
نتوارثه

ونتوارث رقابكم فيه .  
مدنية عريقة :

تقبلون وتقبلون ،  
فأتقبل منكم الجزية  
وأتنظر عليكم .  
عيلة واحدة  
فلاحون

بقر . غجر - دستور .  
كله بحسب الدستور

آخر : لتسقط دكة البريطانيا  
آخر : أمرهم شورى بين الطرايطير !  
آخر : حمير ، أولاد حمير !  
آخر : هل من معين ،  
هل من مجير ؟

الشيخ : أنا ...

رب العائلة .

والمرس

والعصا لمن عصى

والعمى !

أحدهم : عاش الطرطور الذي أسبغ علينا

نعمة العمى

وراحة البال

الجميع : عال . العال .

عال . العال .

امراة : ماذا فعلت الجاهلة ؟ !

الشيخ : جاهلة ؟

بنت العشرين ، جاهلة !

خرجت على الإجماع القومي ،

عن طاعة الآباء والأجداد .

تستحم في النهر دون الاستعانة بالحبل .

وتميز النهار عن الليل .

تسرق النظر .

وتحدث بصراحة الطفل .

أمها : ما زالت طفلاً ، يا ولدي .

تغرب والدها للعمل في مزارع

البيض .

فعاد عظاماً لا تصلح حتى للحساء .

يتيمة وجائعة

وأنا منبوذة أحسو

تراب الأرض .

الشيخ : العمي . .

بلغت العشرين

ولم تطلع في عيونها الطواحين ؟ !

زانية بنت زانية .

إبعدي ابتك ومسحوقها المستورد

عن أولاد الناس .

أو تسحقها وتسحقك الأمة !



- أحدهم : لا خوف على أولادنا .  
 أولادنا رضعوا التراخوما  
 من أئداء أمهاتهم  
 الحرائر .
- لا خوف على أولادنا .  
 يا سعادة الطرطور .
- الشيخ : قلنا ناطور ، يا ولدي .  
 ناطور .  
 عيلة واحدة وأنا  
 الناطور .
- نفسه : يا صاحب الجلالة الناطور .  
 آخر : الأوحـد والوحيد  
 ومدى الحياة !
- الشيخ : بالدستور يا ولدي . .  
 كله بالدستور .
- الأول : لا خوف على أولادنا بالدستور .  
 آخر : الطرطور فوق الدستور !  
 الطرطور فوق الدستور !
- الشيخ : لا ، يا ولدي . لا لزوم .  
 فالدستور هو الطرطور والطرطور هو الدستور
- الأول : لا خوف على أولادنا هو الطرطور  
 والطرطور هو الطرطور
- الجمع : الدستور هو الطرطور  
 والطرطور هو الدستور

ويعضون في ترديد هذه اللازمة وهم يتأيلون على وقعها ، في دروشة مغرية  
 نضحك لها حتى تغرينا على تقليدهم ، إنشاداً ودروشة .

فننقل ونحن في غفلة من أمرنا .

وفيا نحن على هذه الحال ، تدروشنا الدروشة ، إذا بنا نتبّه إلى حلقة الصبية والصبايا ، في الزاوية ، وقد أخذت تتأيل ، هي أيضاً ، إلى يمين وإلى يسار . وتهمهم على إيقاع النشيد . ثم إذا بأصواتها تعلو . وإذا بنا نسمعهم ، هم أيضاً ، يرددون :

« الدستور هو الطرطور .

والطرطور هو الدستور . »

فتتنفض الصبية الطبالة فإذا هي واقفة في وسطهم وقد أسقط في يدها . وترفع يديها إلى السماء في ذهول . فيأخذ الصبية والصبايا في الوقوف وهم يتأيلون وينشدون .

وإذا بهم يمضون ، وهم على هذه الحالة ، متعثرين في مشيتهم . ويتقدمون وأيديهم أمامهم تتلمس الأثر ، عمياناً ، أو متعامين ، حتى يتحسسوا كبار القوم منهم ، السابقين في النعمة . فيفسحون المجال أمام الجيل الجديد . فيقرفص الجيل الجديد وراء الجيل القديم ويمضون في التأيل والإنشاد حتى تصرخ الطبالة :

الطبالة : هل أكلتهم التراخوما ؟ !

المهرج : الأنتيكا ، يا صبية ،

الأنتيكا !

الطبالة : أين أخطأت ؟

فتنبّ عن أحد الشبان العميان ، أو المتعامين ، قهقهة عالية ، ثم يقف على قدميه وهو ممعن في الاهتزاز وفي الدروشة . ونسمعه يرد على الصبية أن :

« بضاعة مستوردة .

لا تتفق وتقاليدنا .

ستظلين ، يا طباله ،  
على هامش الحياة  
ما دمت تعتمدين على المساحيق  
الأجنبية .  
أما نحن ،  
فقد تخلصنا من التحجر  
ومن الأبقار المقدسة .  
اندمجنا !  
تعامينا حتى عمينا .  
اندماج كلي .  
وغداً سنرث الطرطور .  
فلا صاحب جلالة ولا من يجزون .  
بل رفيق . .  
صاحب الجلالة الرفيق الطرطور !  
وفي القرية المجاورة  
نجح الانقلاب . «

الطباله : والتراخوما . .

هل تخلصوا من التراخوما ؟

فلا نسمع جواباً سوى قهقهة ذلك الشاب ، مرة أخرى ، وسوى استمرار  
اللازمة :

« الدستور هو الطرطور .

والطرطور هو الدستور . «

ويتسارع الإيقاع فيتسارع الاهتزاز . ويعلو الصوت بالنشيد حتى يشق  
عنان السماء .

وإذ بهم يقفون على أرجلهم ، طرطوراً وجماعة - ويرسل الشيخ حبله

المرس فيتعلقون به ، واحداً وراء الآخر . ويمضون خارجين : الشيخ في الصدر والشاب ، المندمج كلياً ، في مؤخرة الطرطور . ثم بقية الجماعة . ونرى هذا الشاب يهم بأن ينتزع الطرطور عن رأس الشيخ فيتردد إمعاناً في الاندماج . ونرى ، في مؤخرة الجميع ، القادمين الجدد .

وتضرب الصبية الطبالة كعب حذائها بالأرض عنتاً أو إصراراً على التحدي . ونسمعها تردد لازمة أخرى :

« راح زمان الأنتيكا .

راح زمان الأنتيكا ! »

ثم تهرول خارجة ورأسها في السماء تنقر على طبالتها نشيد الأهمية .

فيسألها المهرج :

المهرج : إلى أين ، يا صبية ؟

الطبالة : أبحث عن جيل جديد .

لن أكف ولن أمل .

فهل من بديل ؟

إني أحبهم كما أحب بؤبؤ العين .

وأحب بؤبؤ العين .

فهل من بديل ؟

أنا واحدة منهم .

وقد شفيت .

فلماذا لا أشفيهم ؟

سوف يشفون .

فهل من بديل ؟

ماذا تريدني أن أفعل ؟

هل من بديل ؟

وتمضي .

ونسلم المهرج يهمس في اذن بدور :

المهرج : يقيناً ، ماذا نريدها أن تفعل ؟

هل من بديل ؟

ويتجه نحونا ويسألنا :

« أجيبوني -

هل من بديل ؟ »

فلا نحير جواباً .

فيعود :

« هل من بديل ؟ »

فنمعن في الصمت ..

-٢-

## وَلَكِنْ "اخرى بعد" لكن التي ورد ذكرها آنفاً..

ويذهب المهرج ويجلس إلى جانب بدور على مقعد الصندوق . ويحوطها  
بذراعه . ونسمع ، من بعيد ، لحن « أغنية حنين الهندي » ، لحناً يقطع نياط  
قلوبنا ، فكيف بقلبيها ؟ !

ويشرق حنين في سماء بدور .

ويكون المهرج يهمس في أذنها :

المهرج : أتسمعين ، يا بدور ؟

بدور : حنين ..

المهرج : أتذكرين ، يا بدور !

بدور : تذكرته ..

حنين ..

الشباب الأسمر .

بائع الكتب الجوال .

صاحب اليمين الساحرتين .

يشعل الفتيل المبتلى

وخيال العذارى ..

يا لطية قلب الأمهات !  
أتذكر؟

فيضحكان .

صوت امرأة : روجي ، يا بنت ، نادي على  
الشاب حنين ،  
صاحب اليدين الساحرتين .  
يعينك على تشميس الفراش .  
صوت زوجها : إياك ثم إياك !  
لسانه سحر  
وعقل البنت طار .  
الزوجة : لقد طارت وقضي الأمر ..

فيضحكان .

المهرج

طارت إلى بعيد ..  
بعيد .. بعيد !  
تغربت .  
غربوها .  
غرروا بها .  
فغرت هوة الزمن فمها .  
فابتلعت الذاكرة .  
بدور : كان صانعا فقالوا لها :  
صايغ !  
كان مؤمناً بالحياة فقالوا لها :  
كافر بالأخرة !  
أحب الناس أن يتحابوا  
فقالوا لها :  
خائن !

آمن بالكلمة فقالوا :  
أهبل !  
زوجوني بآخر ، يا حنين .  
طيره ..  
فطرنا بعيداً  
طرنا وطارت الأيام !  
المهرج : أتذكرين ؟ !  
بدور : حين ذهب بدر ولم يعد  
وخزني صدري .  
فلما ذهبت بدرية ،  
ثم ذهب بدران  
فبيادر . . . .  
تحرك في أعماقي  
حين راقد .  
تأنيب ضمير :  
ماذا فعلنا ، يا إلهي ،  
وماذا لم نفعل ؟  
أيتخلف ليلنا عن كل الليالي  
بطوله ؟  
صوت أم : آه ، يا ولدي البعيد  
عن الديار !  
وينلاه !  
كيف تعود وحدك  
لا دليل ولا رفيق \* ؟



صوت ولدها : أماءه

ليتك لم تغيبي خلف سور  
من حجار .

لا باب فيه لكي أدقّ  
ولا نوافذ في الجدار !

كيف انطلقت بلا وداع  
فالصغار يولولون

يتراکضون على الطريق  
ويفزعون فيرجعون .

ويسألون الليل عنك  
وهم لعودك في انتظار\* ..

المهرج : في انتظار ؟ . . . .

بدور : كفى قشمة ، يا حنين !

أنت حنين .

الشاب الأسمر

بائع الكتب الجوال

وصاحب اليدين الساحرتين

لا ، وحسرة الزمن الضائع ،

يا حنين .

لم أسأل الليل عنك

نسيناك ، يا أسمر ،

حتى سألنا الليل عنك .

المهرج : بدور !

بدور : إن وسواساً يراودني على حياتي

حتى يدهمني الشعور بالعبث .

يمتلىء صدري بالفزع

من هزلك الجاد ، يا أيها المهرج .

المهرج : بدور .. !

بدور : هل تظلل ذاكرة الشعب

عذراء

من جيل إلى جيل

حتى ولو لم يبق مغتصب ،

عبر الزمن الغاصب ،

إلا واغتصبها وأثخنها بالجراح

وأهدر دمها

وأخذها سبية

وباعها في سوق النخاسين ؟

هل حقاً ؟ !

المهرج : ألوم نفسي ..

بدور : لا تلم الضحية ..

أتذكر ؟

المهرج : قد يكون أن أكلة لحوم البشر ،

العصريين ،

- بالشوكة وبالسكين -

يلتهمون ، معها ، الذاكرة .

ربما !

بدور : هل قيص لهذا الشعب المبتلى ،

المتحزن ..

المطوّح ، المضرّس ، المغدور ،

أن يعود على التجربة

من أولها ؟

هل ينسى ؟ !

المهرج : لا ينسى وطنه !

بدور : حتى الوطن ؟ !

لا ، لا ينسى وطنه .

ولا المغتربون المغربون ،

الغائبون المغيبون ،

ينسون الوطن .

فالوطن لا يُنسى .

لا يُجمل على الظهر في حقيبة

حتى يُنسى في محطة .

أو يُلقى عن الظهر

تعباً ..

ليس الوطن كالنفس .

إنما الوطن كالتنفس .

وحال الوطن كحال إنسان الوطن :

لا يختار إنسانيته بل يولد

إنساناً .

وإذا خيرنا ،

هل نختار أن نولد خنازير ؟

أتذكر ؟

المهرج : أذكر ولا أنسى . .

بدور : وحين تناقل الفراق في مشيته

واستولى على عينيّ الغربية

النعاس

وأخذ الوالدون يتساقطون

تساقط فراش يهوم على

سراج ،

سراج يشتعل فتيله وينضب زيتسه -  
سراج العودة -  
اشفقنا على معالم الوطن أن تدفن ،  
مع الرجال ،  
في صدور الرجال ،  
حين راحوا يمشون وتمضي معهم ،  
مكفنة بصدورهم  
حكايات بدور التي أسرها الغول ..  
صوت غلام : ستي بدور ! ستي بدور !  
شوفي القمر كيف يدور !  
صوت فتاة : وأينه وأينه  
يا ولد ؟

فنسمع صوت فهقهة . ثم نسمع صرخة فتاة ، تلك التي أسرها الغول .

بدور : فنقلنا إلى الولدان  
معالم الوديان ،  
وتغيّر الزمان ،  
والصمود في رؤوس الجبال ..  
صوت رجل : بللي شفتي أحمد بقطرة ماء ،  
يا أم أحمد !  
يا أم الشهيد !  
بدور : وأسماء الأطلال  
والصمود المحال  
والناس والرصاص  
وبحارة يافا وعمال حيفا  
وزنزانة في عكا  
وارجوحة

وظلام السجن

ومناحة

وملوك ومملوك

وملك مملوك ..

المهرج : حبيبتى بدور ..

بدور : حتى ثورة العشرين وجدنا من يتحدث

عنها من فرسانها ،

ممن لم يحن هاماتهم

لا الزمن

ولا المحن

لا الغربية

ولا ذوو القربى .

ولكن ما هَزَمْنَا ؟ !

ما شَرَدْنَا ؟ !

ماذا فعلنا ولمْ نفعل ؟

ما هذه العقارب القارصة

تحصي الدقائق والساعات والأيام

والسنين

في الزمن القارص ،

في هذا الزمن الضائع ؟ !

المهرج : تأبى صدور هؤلاء الرجال

أن تُخْلِي سبيل السر .

الصدمة الكبرى ، الصاعقة ،

البراكين ..

أغشت أبصار الذاكرة .

وألقت على الجرح غشاوة من الرحمة

الذاتية ،

رحمة بهم وبما بذلوه  
من أبناء  
فأعادتها عذراء ،  
إلا من ذكرى الكروم والبيارات  
والبيادر  
وأيام كنا ..

ربما !  
ولكن ، يا بدور ،  
لا تلومي الضحية .  
أتذكرين ؟ !

بدور : أذكر ولا أنسى .  
ولكن !

هل من الممكن ، في حالة الشعوب -  
أي شعب ، هذا الشعب -  
التضحية بالكبش المضحى ،  
هو نفسه ،  
مرة ثانية فثالثة  
فعاشرة  
هو نفسه ؟ !

المهرج : هو نفسه . وهو آخر ، يا بدور ،  
في المكان نفسه .  
مثلُ الشعوب مثلُ مياه النهر :  
هي نفسها وهي أخرى  
في النهر نفسه .  
وكبش الضحية . ولد الضحية .  
هو نفسه وهو آخر  
في المهمة نفسها ..

من عيد إلى عيد .  
 من عيد إلى عيد ..  
**بدور :** خلعنا جلد الضحية .  
 حملنا البندقية .  
 ورثناها لامعة  
 مسنونة ،  
 محفوظة بالزيت  
 في أضرحة الآباء والأجداد .  
 أمانة ترد إلى الأحفاد .  
 لقد حملوها كما لم يحملها شعب  
 فيما بين البحرين .  
 وقدموا ، من أقصى الجود ،  
 ثمناً لحريرتهم  
 يفيض عنها  
 ويروي موات الأرض لدى ذوي القربى  
 ويخفف العبء عنهم .  
 ثم لا يردون الجميل إلا  
 نكراناً !  
 لقد أرخصوا نفوسهم حتى أصبحنا نشعر  
 بأن استمرار حياتنا  
 خيانة ..  
**المهرج :** أو لأمر عظيم ، يا بدور !  
 حكمة سماوية .  
 ومسؤولية اجتماعية .  
 نحن جيل ، يا بدور ، يعلم أن حياته  
 وصية ..  
**بدور :** ها أنا ، يا حنين ،

وصية ..  
وصية بدر وكل البدور  
أجيال النسور ..  
فماذا فعلنا وماذا لم نفعل ؟  
أية غشاوة ألقيت على الذاكرة  
فأعادتها عذراء ؟ !

فيقف المهرج على قدميه . ويلتقط صنجيه ويصفق بهما . وما ان يقوم بهذا الأمر حتى يأتينا لحن شهرزاد ، ألف ليلة وليلة ، وشوشة آتية من جوف الماضي . فيتراجع الضوء مخلفاً وراءه حبيبات من النور تحملنا جميعاً ، ومعنا المحبين اللذين التقيا في خريف العمر ، والصندوق ، إلى سالف العصر والأوان .

ويأتينا صوت المهرج ، في هذه الأثناء ، ينشد قائلاً :

المهرج : عن شيكي ، عن بكبي .  
عن جعفر البرمكي .  
آن الأوان ، يا صبية ،  
أن تنطقي !

وإذا بكومة سوداء ، لم نكن انتبهنا إلى وجودها في الزاوية القصية من المسرح ، تنقشر عن فتاة مفتنة . كأنها زهرة المرار ، تسلب الألباب وتجفوها الدواب . وإذا هي شهرزاد الأسطورة ، بردائها الناعم الفضفاض وبسروالها الهند والمسنّد - شهرزاد كما خلقوها لنا حتى نسبح الخالق ونسبح في نعمة خلقه . والله في خلقه شؤون .

وتبتسم شهرزاد ثم ترد على المهرج قائلة :

شهرزاد : « ولكن الشوف ، يا ناس ،



مش مثل الحكوي !

فيعود المهرج الى شكواه وبكاه :

المهرج : عن طير طار

طار ثم طار

ولكن ما نسي الأهل والديار .

عن بيرماله قرار .

وعن وطن جولوه إلى

مقبرة فخّار .

وعن قمقم بأيديهم حطموه .

فانطلق منه ماردا حبيس ،

مفتول الساعد ،

ذكوي وأنيس .

يشعل في الهشيم النار

ويبدد ظلام الليل .

ويطلع علينا وعلى الحاضرين

أجمل نهار .

شهرزاد : عن شكوي . عن بكوي .

آن الأوان ، يا صبية ،

أن تضحكسي . .

المهرج : عن شكوي . عن بكوي .

يا صبية ، تكلمسي !

ما بك ؟ !

فتكلم شهرزاد . تحكي لنا حكاية من حكاياتها :

شهرزاد : بلغني ، يا مهرج الزمان

الطويل اللسان ،

أن السندباد ، في رحلته الأخيرة ،

وقع على جزيرة باسقة الأشجار ،  
بعيدة الثمار .  
وكان أرقه الجوع والاجهاد  
والسجود لرب العباد .  
ولكن الشوف ، يا ناس ،  
مش مثل الحكوي ..

وتقوم شهرزاد عن جلستها الشهرزادية ، تتلوى وتتقصف ، وتكشف  
ستارة في زاويتها تتكشف عن شجرة باسقة ، ثمارها بعيدة المنال تتلألأ في  
الضوء ، أشبه بلآلىء البحر منها بثمار البر ، حتى كأنها تنادي المشاهد :  
« هل لك ، يا أبا الحسن ، هل لك ؟ » .

ويكون يقف تحت هذه الشجرة السندباد كما نراه في عيون أحييلتنا : شاب  
قوي البنية ، فارع الطول ، حقيق بأن يصول وأن يجول . إلا أنه يظهر  
أمامنا ، الآن ، في بقية من ثياب ممزقة ، مجرحاً ، متخناً بالجراح . ويكون  
مخني الظهر يعاني من القهر . وهو يئن ويتوجع .

ونرى ، تحت قدميه ، كومة من هشيم . وهي أغصان وعيدان جافة .  
تنتشر رائحة عفونتها انتشار رائحة العفن الذي يلفظه بحر على شاطئه بعد أن  
ينحسر . وتكون أشبه بقشور الأشجار والحطب ، مما يتراكم في جوف غابة  
أوربية تتزاحم رؤوس أشجارها على نور الشمس فلا تترك منه ، للجوف ،  
سوى الأشلاء والفتات وجيف العفونة .

ونرى ، في وسط هذا الركام - جزءاً منه - شيخاً هرماً قمئاً ، تنتشر صفرة  
الموت في سحنه الشبيهة بالأرض الموات التي شققها الكسل ، قزماً في طول  
عود من العيدان المقصوفة والجافة حواليه . له يدان ورجلان أشبه ما تكون ،  
في دقتها وفيما تثيره في النفس من اشمئزاز ، بأرجل العنكبوت الدغفل وأطرافه

العنكبوتية . ويكون هذا الدغفل يحيط رأسه - صدقتم أولم تصدقوا - بتاج تتلألاً جواهره حتى نخالها لقية في نبش نخالة .

ويكون هذا الدغفل يخرج من فيه أصواتاً حادة أشبه بفحيح الأفاعي أو بما يصدره من صوت مسمار يسحب على صفحة من حديد .

ونتبين فحوى فحيحه :

الدغفل : سندباد ! سندباد !

السندباد : آه يا ظهري . أنا جائع

والثمر بعيد المنال

الدغفل : سندباد ! سندباد !

السندباد : من المنادي ؟

من المجير ؟

الدغفل : أمامك أنا ،

بين رجلك .

أيها الجائع

أنا أطعمك .

السندباد : اني أرى قزما

أو بعضاً من قزم .

فكيف تبلغ الثمار ؟

الدغفل : أحنى ظهرك ..

تحت ..

السندباد : ولكن الثمار فوق ،

فوق ..

الدغفل : إحنى ظهرك

فأركبك .

بقامتك ويدي

أبلغ الثمار .

أقطعها بيدي

وأطعمك .

والدبر بولده

السندباد : تركيبني ؟!

الدغفل : حتى نبلغ العلى

ف فوق ..

السندباد : هل أفعل ؟

أراه يلبس تاجاً .

لآله تبهر البصر .

عريق المحتد .

شيخ بركة .

الدغفل : احني ظهرك يا ولدي !

فيحني ظهره السندباد .

الدغفل : تحت . تحت ، يا ولدي !

السندباد : البركة فيك ، يا شيخنا .

الدغفل : اوطأ . اوطأ ، يا ولدي !

مالك غيري ، يا حنون .

وإذا بأمرين يقعان في آن واحد : الدغفل يقفز فإذا هو فوق كتفي السندباد  
راكباً وهو يضحك في هسهسة كريمة . والمهرج يصرخ فيأتينا صراخه غمغمة  
وجلجلة .

المهرج : حَذْ .. حَذْ ..

حذار يا سندباد !

الدغفل : قضي الأمر .

نفذ السهم .

ولم تعد تجدي الحذ حذة !  
 السندباد : اقطف لي ثمرة ، يا شيخخي .  
 فإني جائع .  
 الدغفل : الثمر بعيد المنال .  
 وأنت محني الظهر .  
 جاهل .  
 أقم ظهرك حتى أبلغ الثمر .  
 السندباد : كيف أقيم ظهري وأنت تركبني  
 يا شيخ ؟  
 الدغفل : شد حيلك !  
 السندباد : خفف ضغط سايقك  
 على عنقي !  
 الدغفل : فترميني عن ظهرك ،  
 أيها الخبيث ؟  
 سأشد على عنقك حتى اكرهك  
 على الانتصاب

فنسمع حشرجة السندباد وهو يتحامل على نفسه ويعالج قامته ليرفعها .

الدغفل : اجهد . جاهد ! .

شد !

ها هو تاجي يلتصق بالثمار !

إنها جواهر !

السندباد : جواهر ؟

أين الثمار ؟

إنني جائع ..

الدغفل : جواهر . مجد .

عُلى !

أجماد . جواهر ..

ويملاً تاجه وجيوبه بالجواهر .

السندباد : الخبز ..

الدغفل : مادي ..

كافر بالشرق الروحاني .

أجماد . جواهر !

السندباد : أنا جائع !

كسرة ..

الدغفل : يكسر رقبتك !

أنا ربكم كسرى .

ألم يكفك أنني أقمت ظهرك

وأعدت أجمادك

وأنشأت لك الجامعة العربية ؟

خيّل !

ويخيّل عليه .

وإذا بالأرض تزلزل زلزالها ويهب الإعصار فتقع الشجرة . وتتبعثر

الجواهر . فيقفز الدغفل من فوق كتفي السندباد . فيقع على الأرض .

فيمضي يجبو على أربع يلتقط ما تناثر عليها من جواهره . ويروح ، وهو يجبو ،

وراء جواهر بعيدة عن أنظارنا .

السندباد : الزلزال ! الزلزال !

الدغفل : ليس زلزالاً ، يا جبان ،

يا خائن ،

بل زلزال مزعوم

السندباد : يقتلني الزلزال !

الدغفل : أرض الله واسعة

من المحيط إلى الخليج .

يا هلا ! يا هلا !

ولعلكم تكرهون شيئاً وهو خير لنا ..

وفيما يختفي الدغفل عن أنظارنا تقوم شهرزاد متثاقلة ، كما على شهرزاد أن

تقوم متثاقلة ، ونسمعها تقول في غنج :

شهرزاد : الآن جاء دوري ..

خلا الميدان .

وآن أواني كي أركبه .

ويهم السندباد بأن يقيم ظهره . ويحرك أطرافه وقد تخلص من العبء .

فيبدو الألم على وجهه من جراء هذا الجهد والجوع القديم . ونسمعه يتأوه

ويقول :

السندباد : العنكبوت ! الدغفل !

ركبني فخانسي .

امتطاني فطوح بي .

لن أنسى !

لن أغفر !

المهرج : إن من ركبك خانك

يا سندباد .

أقم ظهرك !

شهرزاد : العنكبوت . الدغفل .

شيخ متخلف .

ولى زمان المطايا !

كفى ما ارتكبوا من خطايا !

ابشر . ابشر ، يا سندباد !

جاء الخلاص .

- أنا الخلاص .  
القائد !  
لن أمكنه من ظهرك  
مرة أخرى  
السندباد : من ؟ شهرزاد !  
هل أنت الأمل الذي كان يراودني ؟  
من قديم الزمان ؟  
شهرزاد : ابشر ، يا سندباد !  
أنا الخلاص ، يا حبيبي .  
لن يركبك الدغفل  
بعد الآن !  
السندباد : كيف يتحقق هذا الأمل  
يا حبيبتني ؟  
من يحمي ظهري ؟  
شهرزاد : أنا ، يا حبيبي !  
السندباد : كيف يا حبيبتني ؟  
شهرزاد : أمتطيك أنا !  
السندباد : تمتطينني ؟ يعني ،  
تركيبتني ؟  
شهرزاد : أبداً .  
الامتطاء غير الركوب .  
الامتطاء عود إلى الزمان الأول  
فروسيّة !  
السندباد : أنت ؟ !  
شهرزاد : خفيفة الوزن أنا ،  
والظل والدم .  
صغيرة . كلي نشاط .  
عمري أمامي .



أمتطيك وأطير بك .

جناحاك أنا ، يا حبيبي .

نِخ !

نِخ !

بدور : ولكنه مر على هذه التجربة .

هل نسي ؟

هل عادت ذاكرته عذراء ؟ !

شهرزاد : أنا جديدة ، يا روح أمها .

تجربة جديدة .

كلي نار !

جربوني أسركم .

جربوني يا عيوني !

المهرج : سوية ، يا شهرزاد !

بلا راكب ومركوب .

شهرزاد : اخرس أنت ، يا روح أمك !

قال : بلا راكب ولا مركوب !

فلماذا خلق الله الأكتاف

إذن ؟

كافر !

المهرج : الناس سواسية . .

شهرزاد : سووس الله عظامك !

أنت من ؟

من أبوك ؟

أصلك . فصلك . علمك . دينك ؟

نِخ !

نِخ !

المهرج : سندباد . يا سندباد !

لا تنسخ !  
 هناك ظهور منتصبه  
 أكتاف حرة !  
 انك إنسان !  
 السندباد : أنا جائع . متعب . متفرق .  
 جائع إلى الخلاص .  
 إذا لم يركبني  
 من يركبني ؟  
 أتركبني ؟  
 المهرج : موقعي ليس فوق ظهرك ،  
 يا سندباد !  
 بل معك !  
 إلى جانبك  
 نتكاتف :  
 كتفاً إلى كتف .  
 وإذا شئت ،  
 نتقدم الصفوف !  
 بدور : اركبه ، يا حنين ..  
 لماذا لم تركبه ؟  
 كيف ضيعت فرصة العمر  
 وأنت مشغول بهذه السفطة ؟ !  
 المهرج : سفطة ؟ !  
 سفطة ، يا بدور !  
 أغييب السر عنك  
 مرة ثانية ؟ !  
 هذا هو السر الذي غاب عنك  
 حين زلزل البركان .

شهرزاد : تعال ، يا نصر لسان .

راحت عليك .

أسبقك فأمتطي .

وأسكتك بأن أترك لك مكاناً

في القفا .

المهرج : والتراخوما . .

وهذا الانسان ؟

شهرزاد : حبة ، حبة ، أكل العنب .

نقيم جهة ، يا روح أمك .

نِخ ! نِخ !

المهرج : سندباد ! سندباد !

شهرزاد : صوتي أعلى .

صوت المجد التليد أعلى

نِخ ! نِخ !

نِخ ، فتبدأ المسيرة

ونشرع في الإنشاد .

نِخ !

فبيرك السندباد . فتركبه . فلما تعلو ظهره تحيّل عليه وهي تنشد نشيداً

حفظناه في المدرسة الابتدائية عن ظهر قلب . ولذلك لا يصح ، في هذا

المجال ، القيل والقال :

شهرزاد : بلاد العرب أوطاني

من الشام لبغدان

ومن نجد إلى يمن

إلى مصر فتطوان

فلا حدّ يباعدنا ولا دين يفرقنا

لسان الضاد يجمعنا

بغسان وعدنان .  
لنا مدنية سلفت  
سنحيها وان دثرت

( تصفيق ! )

ولو في وجهنا وقفت  
دهاة الإيس والجنان

( عاصفة من التصفيق )

فهبوا ، يا بني قومي ،  
إلى العلياء بالعلم  
وغنوا ، يا بني أمي ،  
بلاد العرب أوطاني .

وفي لحظة من اللحظات ، حين يكون صوت النشيد يعلو أعلى من صوت شهرزاد ننتبه إلى أن السندباد ، أيضاً مشترك في الانشاد . بل نسمع صوته يعلو على صوت شهرزاد . وتأخذه النشوة . ويستبد به الطرب . فيفرح ويمرح . فيما تكون شهرزاد على مثل حاله سوى أنها الراكبة وهو المركوب .

وفي لحظة تالية نلاحظ - بلا دهشة - أن بدوراً ، نفسها ، قد استبد بها الحماس . فأخذت تصاحبها في الانشاد وتمرح وراءهما وهي مأخوذة .  
وحين ننتبه إلى أنفسنا فإذا بنا ، نحن أيضاً ، نشارك في الانشاد ، ندرك أنها غير مؤاخذة .

ويكون المهرج يتمم بكلام غير مفهوم . ثم يضع كفيه على عينيه ، إما عن شعور بالاحباط وإما عن رغبة في أن لا يرى ما نرى من أمجاد .

ويغيب الفارس والفرس وبدور عن أنظارنا . فنصمت ذلك الصمت

---

الذي يسبق العاصفة . أو صمت الولد السارق قد مُسك والتفاحة الحرام في يده .

ولا يبقى في القاعة سوانا ، نحن والمهرج ، وجهاً لوجه !

-٣-

## الوجه المشرق

لا يبقى في القاعة سوانا ، نحن والمهريج ، وجهاً لوجه . كلانا يغض الطرف عن الآخر خجلاً من نفسه أو حرصاً على دخيلة نفسه .

وإذا بالمهريج يتقدم نحونا وإمارات التصميم بادية على وجهه . فيخيفنا منظره ، بالعينين الواسعتين ، الشاخصتين . فينفجر طفل بالبكاء . فتهزنا المفاجأة . فنهمهم مدعين أننا نضحك .

المهريج : حتى أنت ، يا بروتس ؟ !

لا ، والله !

أنتم ؟ !

ورب الكعبة لأهملنكم على الطريق !

إلا أنتم !

أنتم الذين ، حين جاءكم الأعصار وفرّ الدغفل  
تخلى عنكم كل الراكبين ، بالضاد ، على ظهوركم .  
قالوا : ليركبكم الشيطان ، إذا شتم .

أنتم ؟

أنتم ، في عيونهم ، أموات .

كما أن وطنكم ، في عيونهم ، قدمات .  
 متم في عيون أعجازهم .  
 أعجازهم المفتحة بلا عيون .  
 ما داموا لا يستطيعون أن يركبوكم  
 ليركبكم الشيطان !  
 سيان !  
 الشيطان أخو الشيطان  
 خونة !  
 لماذا بقيتم في وطنكم ؟  
 حتى يركبكم العدو ؟ !

ويتكىء على صندوقه . ويتنهد . ثم يقول :

المهرج : أولاد الناس . يا أولاد الناس !  
 أنتم أبناء البلد وبناته .  
 أنتم أبناء الوطن وبناته .  
 إن من ألقى عن كتفيه هذا الفيل  
 لن ينخنخه لا الزعيق ولا العويل .  
 اطمثنوا ، يا أبناء البلد وبناته .  
 بدور عادت إلينا .  
 عودي بدور !  
 أم بدر !

وإذا بصوت بدور يشق عنان السماء . نسمعها تنادي . ثم نراها ماثلة  
 أمامنا . بثيابها ممزقة ومضرجة بالدماء .

بدور : حنين .. !

يا حنين الصبا !

أوطاني ضاقت بنا !

حين رفعنا هاماتنا  
لنظل على الوطن ،  
تفرقوا من حولنا ،  
أيدي سبأ ..  
أيدي أرانب ..  
أصبحنا عالة . عبثاً على المجتمع ،  
يا حنين ..  
مجتمع حمالي الأسيأ !  
لا مكان إلا للحمالين .  
وأما متصبنو القامة  
فتعج بهم السجون  
وبطون الأرض .  
وهناك ...  
لا مكان لنا !  
لأن ضريح بدر  
هنا !

وحرام علينا أن نزره ، يا حنين !  
حرام علينا أن ندفن معه !  
حرام علينا أن ندفن معه ؟ !  
لكع يحكم ، يا حنين !

المهرج : وهنا ، يا بدور !

بدور : فمتى تقوم الساعة ؟

أترى ضوءاً في السرداب ؟  
عما يكشف صندوقك

من مستقبل ، يا حنين ؟

المهرج : لا أنا بصارة ولا أنا برأجة

يا بدور .



لست قارئء كف ولا منجم أبراج .  
 بل أستعيد الماضي .  
 لا لكى أفتح جراحات  
 بل كى لا تذهب التجربة هباء  
 ولا تعود الذاكرة عذراء ،  
 أشبه بذاكرة طفل .  
 إذا لم نر الحاضر  
 لا نستطيع أن نرى المستقبل .  
 إن أمراً واحداً يقلقني في هذا الأمر ،  
 يا بدور .  
 وهو أن نقعد نتظر الانفجار  
 قيام الساعة .  
 أن نتظر ساعة لا يعود فيها  
 الحال محتملاً .  
 هذه الساعة لا تحين ،  
 يا بدور !  
 فالذي يحتمل منتظراً ساعة الانفجار  
 يصبح الماضي البشع ، في عينيه ،  
 أمراً جميلاً .  
 فيحتمل الأسوأ منه .  
 حتى إذا مضى  
 يصبح ، هو أيضاً ،  
 أمراً جميلاً !  
 إنى أفكر بإخوة سعدي  
 وبإخوة سعادية .  
 لا يمكن أن يجتمعا على النفاق  
 إلا فيما وراء هذه الحياة .

قرأت الخطاب الذي لم يلق  
 فانتابتنى الهواجس .  
 ها نحن نقترّب من منتصف العقد الثاني  
 للاحتلال .  
 فلا عجب إن اضطرب صاحب الخطاب  
 أمام تعاضم المقاومة في وجه  
 القمع المتعاضم .  
 بيدي خوفه من أن يستيقظ  
 في صباح أحد الأيام ،  
 فيهوله ما يرى في المرآة .  
 يقول : « نستيقظ في صباح أحد الأيام  
 وننظر في المرآة  
 فلا نعود قادرين على تحمل  
 الوجه القذر  
 والمثير للإشمئزاز  
 الذي يبخلق فينا .  
 بدور ، يا بدور !  
 لقد حملت صندوقي  
 وأنا تستبد بي الهواجس  
 إذا لم يأت هذا اليوم ،  
 كل يوم !  
 وفي كل الأيام الماضية ،  
 إذا لم يأت حتى الآن ،  
 فإن بشاعة الانتظار  
 تجعل القرد في عيني أمه غزلاً .  
 الوجه الذي يبخلق في صاحبه !  
 أمن الصعب أن يتخيله صاحبه

وهو يبخلق فينا ؟ !

أما نحن ، يا بدور ،  
فوجهنا مشرق .

بدور : وجه بدر !

المهرج : ووجه قاسم . ووجه خديجة .

وجه ياسين .

وجه بدر

ووجهك ، يا بدور .

بدور : ووجهك ، يا حنين ..

المهرج : فلماذا نخفيه عن أعينهم ؟

إنني أرى بصيص نور

بدور : شقائق نعمان تزهو فوق ضريح

بدر

المهرج : وأشقاء لنا ...

شقوا على النفاق عصا الطاعة .

يحرصون على ضريح سعدي

كما يحرصون على ضريح سعادية .

بدور : حرصاً على الأحياء !

المهرج : حرصاً على الأحياء !

بدور : يطغى ظلام !

المهرج : ويتشور نور

في أماكن أخرى .

قامت ساعتهم

ولم تبق إلا ساعتنا .

بدور : لكع بن لكع يلي أمور الناس

المهرج : لا تقوم الساعة حتى يلي أمور

الناس لكع بن لكع !

بدور : نخلعه ونعود ؟

المهرج : نخلعه ونعود .  
 نعود ونخلعه .  
 مسيرة واحدة  
 بدور : تقوم الساعة ؟  
 المهرج : تقوم الساعة  
 بدور : متى يا حنين ؟  
 المهرج : غداً ! يا بدور !  
 بدور : غداً ؟  
 المهرج : غداً .

وإذا بربيع وبسعدي وإذا بسعيد وسعادة وإذا بسعادية يقبلون في لباس  
 أبيض ، بدون أجنحة ، يحملون باقات من الزهور يقدمونها إلى بدور .  
 وإذا بجمع من الصبية والصبايا ، أولئك الذين رقصوا رقصة الموت ،  
 يقبلون متهللين ومستبشرين وفي أيديهم الزهور ينثرونها على بدور .  
 ويغمر نور ساطع زاوية من زوايا المسرح . فيظهر وسط الضوء ، وكأنه  
 خارج من الضوء قسماً من نور ، شاباً فارغ الطول . ويكون واقفاً على منصة  
 يحمل في يده ورقة من الصبّار ، التين الشوكي ، فلا تدمى يده .

فتصرخ بدور :

بدور : قام بدر ! ابني بدر !  
 طلع بدر !  
 أورك بدر !  
 اكتمل بدر !  
 ابتسم بدر !  
 المهرج : بدور ..  
 غداً ، يا بدور !

بدور : قام بدر !  
 أطلع بدرأ .  
 أنطق صخرأ .  
 حرّك ضميراً .  
 المهرج : غداً .  
 غداً ، يا بدور !  
 الجميع : غداً  
 في الغد . غداً !

ويعضون . وهم ينثرون الزهور ، الآن ، على الحضور . ويكون المهرج في مقدمتهم . يدفع بصندوقه . وإلى جانبه بدور وحولهما ووراءهما بقية الجمع . ونسمعهم ، وهم يغيبون عن أنظارنا ، ينشدون بصوت واحد :

« الموعد في الغد .  
 غداً . غداً .  
 الحاضر يعلم الغائب .  
 غداً . غداً .  
 صندوق العجايب .  
 غداً . غداً .  
 صندوق العجايب .  
 غداً . غداً . »

وفيا نحن نودعهم بالتصفيق وبالتهتاف والوقوف على الأقدام ، إذا ببدر تعود وهي تحمل باقة من الورود الحمراء تلقيها تحت قدمي بدر وتولي باكياً . فنسرع إلى بيوتنا ، وإلى أمهاتنا وإلى زوجاتنا وإلى أطفالنا ونحن بين مصدق ومكذب .

أما أنا ، وقد يكون هناك غيري ، فلا أنام فيما بقي من جوف هذه الليلة . .

# الفهرس

إهداء

- ٦  
٧  
٩  
١٥  
٢٥  
٣٩  
٤٧  
٤٩  
٥٧  
٦٧  
٧٣  
٨١  
٩١  
١٠٩  
١١١  
١٢٧  
١٥١
- الجلسة الأولى : مجنونة بدر  
١ - صندوق العجب . الفرجة برغيف فوق طبق طرغاني  
٢ - لا بدر ولا بدران ، ولا بدرية ولا بيدر !  
٣ - أحد عشر حجاباً اسود وطفلتان وحجاب أحمر واحد  
٤ - لُكعُ بن لُكعُ !  
الجلسة الثانية : بدر  
١ - فلافل ! فلافل !  
٢ - تموت الحمير وتحيا الزريبة !  
٣ - جريدة من الوطاويط تصيت :  
وط . وط . يوط . يوط !  
٤ - ستة عشر لويسا  
ولويس عوض  
٥ - بدر ! .. كلهم ولدي بدر !  
٦ - مآدبة شواء  
الجلسة الثالثة والأخيرة : المهرج  
١ - راح زمان الأنتيكا ولكن ...  
٢ - « ولكن » أخرى بعد « لكن » التي  
ورد ذكرها آنفاً ..  
٣ - الوجه المشرق



دار الفارابي

الشمس ١٣ ل.ل.